

روايات عبير

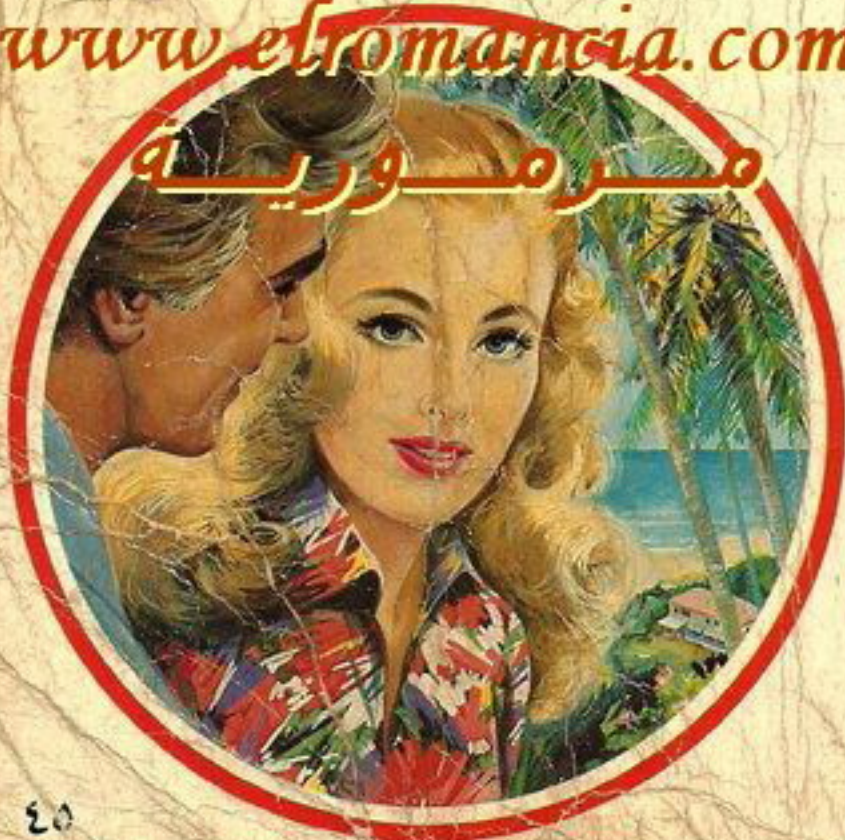


اليزابيث غراهام

غضب العاشق

www.elromancia.com

مروية



غضبُ العاشق

ينتظر الانسان شيئاً مبهماً غريباً في داخله... وفجأة تلتهم شرارة في العيون... يصاب القلب بسهم خفي، وتثوق الروح الى الانفلات نحو المجهول..

هذا ما حصل للمكسيكي الثري ديفغو راميريز حين التقت عيناه بعيني لورا الجميلة، عارضة الأزياء المشهورة على شاطئ، الأكابولكو، لكن العاشق راميريز يعرف بأن لورا مخطوبة ولا أمل له بالزواج منها... وهنا تلعب الأقدار لعبتها لتجمع راميريز بخبيبته، في ظل ظروف غريبة، اعتبرتها لورا انتهازية وقامت... لكن ما كتب على الجبين يجب أن تراه العين... فهل تسعد لورا بنصيبها وتقتنع به، أم يخلصها غطيبها برأت من يد هذا المكسيكي المتعصب؟

السودان ٨٠٠ م	اليمن ٨ ر	الكويت ٧٠٠ ف	لبنان ٧٠٠ د
UK £ 1	تونس ١ د	الإمارات ٩ د	شورية ٨٠٠ م
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	البحرين ٩٠٠ ف	الأردن ٥٠٠ ف
Greece Drs 120	المغرب ٨ د	قطر ٩ ر	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٨٠٠ م	عمان ٩٠٠ ب	السعودية ٨ د

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

JACINTHA POINT

١ - دعوة لم تتم

«سيداتي، أنساتي، سادتي، دار الأزياء مارينا يسعدنا أن تستقبلكم في أول عرض لها في مدينة أكابولكو. الجو الساحر الذي يحيط بنا أوحى إلينا بتسمية موضوع المجموعة بـ «الاناقة تحت الشمس». وإن عدداً كبيراً من الناس بينكم ربما يتساءلون ما إذا كانت هذه الاناقة ضرورية، فيما يتعلق باللباس الخاص لشاطئ البحر. دار مارينا تؤمن بحزم أن المرأة تهتم بأنقتها وأنوثتها، على شاطئ البحر، كما في النوادي الليلية، أو السهرات العائلية».

توقفت لورا ترانت لحظة وراحت تحديق في الجمهور الجالس وراء الطاولات الصغيرة الموضوعة إلى جانبي حلبة عرض الأزياء. معظم الحضور من السياح الأميركيين الذين يعتبرون هذا الحدث نوعاً من التسلية الإضافية في وسط العديد من مختلف الموارد والثروات التي تشتهر بها محطة الحمامات المشهورة. لا يوجد إلا عدد قليل من الشباب، رجالاً كانوا أم فتيات. إن معظمهم من الأزواج في منتصف العمر. وبرغم الهواء المكيف، كان العرق يتصبب من كل فرد والرجال يمسخون وجوههم العارية باستمرار. والنساء تخلصن من حدة الشمس

© ELIZABETH GRAHAM 1980

© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: اليزابث غراهام

جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة

لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:

Harlequin (Cyprus) Ltd.

29 Michalakopoulou St.

Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by

Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

التي تحرق بشرتهن ويتمتعن الآن في الظل بينما يشاركن في حضور عرض الازياء.

ولفت انتباه لورا امرأة ورجل. الرجل لم يتوقف لحظة عن التفرس فيها مطولاً. ظاهرياً لم يكن أمريكياً. إذ عيناها السوداوان وأنفه المعقوف وفمه المتعرج وبشرته السمراء الداكنة، كلُّها تشير الى أنه من أصل إسباني. وكذلك المرأة التي ترافقه. إنها سمراء ذات عينيْن سوداوين وشعر داكن، ترتدي فستاناً أسود باكام طويلة يغطي قامتها الناضجة.

التفتت لورا من جديد نحو الرجل الذي كان يحدّق فيها في الشدة نفسها، فاحت عينيها على الاوراق المطبوعة الموضوعة على ركبتيها. وازافت تقول للجمهور: «والآن ماريللا ستفتتح العرض في زي السباحة وسترة الشاطئ، المصنوعة من القماش نفسه».

وظهرت على المنصة فتاة طويلة القامة، سمراء، شديدة النحافة. وحدها لورا بعينيها الزرقاوين المدربتين، يمكنها أن تكشف تؤثر هذه العارضة المبتدئة. لكن مع الوقت سوف تكتسب هذه الفتاة المكسيكية خبرة تجعلها عارضة أزياء من الطراز الاول. وكانت لورا تشرح للجمهور التفاصيل التي تجعل من هذا الموديل الأناقة والحفة معاً. لكنها استغربت عندما رأت أن الفتاة تفقد هدوءها وتضطرب وهي تقترب من المكان الذي يجلس فيه الزوجان المكسيكيان. وبينما كانت عارضة الازياء تعود الى حيث بدأت متوترة، ألقت لورا الى الزوجين نظرة سريعة مرتبكة ومترددة. الرجل

قطب حاجبيه في استهجان واضح. وبدأ أنه لا يستحسن رؤية واحدة من بنات بلده تعرض أمام الرجال أزياء السباحة. ورددت لورا لنفسها وهي تهز كتفيها النحيلتين:

«هؤلاء اللاتين لم يتحرّروا بعد». ثم عادت لتكمل تعليقها حول الموضة وتشرح بوضوح فوائد كل زي ترتديه عارضة الازياء التي تمر من أمامها. في الاجمال، كانت سعيدة من النتائج بعد أسابيع قليلة من التمارين. ومتى أصبح الموظفون المحليون المكسيكيون العاملون في المحل الجديد قادرين أن يعتمدوا على أنفسهم، حينئذ يمكن للورا أن تعود الى لوس انجلوس... وبالتالي تلتحق بخطيبها برانت. لكن لا داعي للأسترسال في الافكار خلال عرض الازياء. وعندما انتهى العرض، سرت النساء الأمريكيات بالموديلات التي بدت شديدة الأناقة على أجسام عارضات الازياء اللواتي لوحت الشمس أجسامهن. وبدأن يطلبن منها بالكميات. إيلينا، الفتاة المكلفة بإدارة الفرع بعد ذهاب لورا، ساعدتهن في التوجّه الى المحل الواقع في الفندق نفسه.

ولما عادت لورا إلى الكواليس، راحت تهنيء عارضات الازياء الأربع، بحرارة لهذا العرض الافتتاحي، وحدها ماريللا لم تكن راضية عن نفسها ولم ترد على ابتسامتها، فاذا بلورا تقترب منها وتسألها بعدما اسندت ظهرها الى الحائط وكتفت يديها:

«ماريللا، ما بك؟»

بدت الفتاة المكسيكية بشعرها الأسود اللامع المرفوع بكعكة الى أعلى رأسها أية في الجمال. لكنها ظلت صامتة. فأكملت لورا

الكلام تقول:

«كل شيء كان رائعاً الى أن وصلت الى نهاية المنصة. ماذا حدث حينئذ؟»

أجابت الفتاة بعد تردد ظاهر:

«السينيور راميريز، إنه لا يجب رؤية امرأة ترتدي زي السباحة، إلا إذا كانت تسبح أو تتشمس على شاطئ البحر».

فقالت لورا باستغراب وبلهجة لاذعة:

«في هذه الحال، لماذا جاء يحضر العرض. يا لهذه السخافة المضحكة! ومن يكون هذا السنيور... السنيور راميريز؟ هل هو قريب لك؟»

أجابت ماريللا في نوع من الاحترام:

«آه! لا! إن السنيور ديبغو راميريز هو أحد أهم شخصيات المكسيك، إنه من عائلة عريقة وقديمة. لها تأثير كبير في بلادنا. إن السنيور ديبغو هو...»

قاطعتها لورا غاضبة أن ترى النساء اللواتي يعشن في القرن العشرين لا يزلن يخضعن للتقاليد البالية.

«ليس هذا امتيازاً يعطيه الحق في أن يقرر أين ومتى يمكن للمرأة أن ترتدي زي السباحة. المرأة التي ترافقه لا شك في أنها مضطرة الى أن تخضع لرغباته لكن لا شأن له معك. ما بالك. لا حق له عليك، أليس كذلك؟»

وخلال عرض الازياء فوجئت لسورا مرآت عديدة بالمرأة المكسيكية التي ترافقه وهي تعرب له عن إعجابها ببعض أزياء البحر، لكنه كان يرد عليها بهز رأسه بنفاد صبر.

قالت ماريللا:

«آه، مسكينة سينيورا راميريز، برغم شبابه، لاقت الكثير من العذاب».

أجابت لورا في اقتناع وهي تتذكر نظرة الرجل المكسيكي الملحة:

«إنني أصدق ما تقولينه».

بعدما ابتعدت ماريللا، اقترب نائب رئيس الفندق من لورا وسألها ما إذا كان الموظفون مستعدين للبدء بتحضير القاعة للحفلة الراقصة. وبعدما وافقت لورا على ذلك، راحت تدقق بسرعة بالفساتين وأزياء السباحة الموضوعة في الخزائن. ثم غادرت الغرفة متوجهة الى القاعة الكبرى التي تطل بابوابها العريضة الزجاجية على بهو شاسع.

الاشجار والشجيرات المزروعة في احواض كبيرة تضيء على المكان جوً المشاتل. ومن بين المشاتل الزنبقية لمحت لورا الرجل الذي أربك منذ لحظات، عارضة الازياء المكسيكية ماريللا.

«أنسة ترانت، هل في إمكاني أن أحدثك قليلاً؟»

كانت لغته الانكليزية كاملة. لا شك في أنه تعلم في أحسن المعاهد الأوروبية أو الأميركية. بالنسبة إلى السياح الذين يهملون أناتهم، كان يرتدي بذلة بيضاء وربطة عنق مضلعة تظهر أناقته الفاحشة.

كان طويل القامة، أطول مما كانت تتصوره عندما كان جالساً. ولورا هي أيضاً ممشوقة القامة، ومع ذلك فكان عليها أن ترفع رأسها حتى تراه. وعن قرب تبين لها أن عينيه السوداوين هما في الحقيقة بلون

المخمل البني الغامق.

أجابته ببرود:

«لا أرى مبرراً لأي حديث، يا سينيور راميريز، إلا إذا كنت ترغب في الاعتذار لازعاجك إحدى عارضات الأزياء خلال العرض».

أجاب ببعض السخرية:

«لا، لم تكن هذه نيتي، يا أنسة».

«إذاً لا يوجد مبرر لتبادل الأحاديث بيننا، سينيور راميريز...»

كانت لورا تهم بمتابعة سيرها، لكنه تمسك بذراعها في سطوة وقال مبتسماً:

«أرى أنك تعرفين هويتي، يا أنسة. هذا يتيح لي المجال أن أعبر لك عن نواياي، على ما أظن».

قالت في توتر وهي تتخلص من قبضته:

«نواياك؟ لا أعتقد أن ما عندك همني حقاً».

«إذا أنت تعتقدين أن دعوة إلى العشاء هي نوع من الاقتراح».

«دعوة إلى العشاء؟»

قال وهو يسخر بلطف:

«حتى ملكات الجمال بحاجة إلى تناول بعض الأكل. ما هو الغلظ برغبتني في تناول العشاء برفقتك؟»

«إنك تهينني، يا سينيورا»

«أنا أهينك، يا أنسة؟ لا أفهم... كيف يمكن لأمرأة جميلة أن تشعر بالاهانة إذا دعاها رجل أتيق إلى العشاء؟»

ابتعدت لورا بسرعة بعدما رمقته بنظرات غاضبة وقالت:

«لماذا لا تسأل السينيورا راميريز؟»

توجهت إلى المحل غاضبة. كيف يمكن لهذا الرجل، المتزوج، أن يتجرأ على اعتبار أن كل النساء طرائد يسهل الحصول عليها!

ولم يتغير رأي لورا في السينيور ديبغو راميريز عندما جاء في اليوم التالي لحضور العرض الثاني والأخير لأزياء الصيف. وفي هذه المرة كان وحده. واعتذرت ماريللا عن العمل بحجة أنها مريضة. وبما أن لورا تتمتع بالمقاييس نفسها، فقد حلت محلها بلا استعداد، واعطت الميكروفون إلى إيلينا.

ارتدت لورا بذلة السباحة المصنوعة من قماش القطن الأسود وفوقها سترة طويلة مقلّمة سوداء وبيضاء، من قماش الحرير الشفاف، تغلف جسمها النحيف. وأظهر الجمهور إعجابه بالبذلة وراحت النساء تصفقن بحماس بينا الرجال يمسخون جباههم المتصبية عرقاً. إن مهنتها جعلتها تعرف كيف تجابه نظرات الإعجاب في عيون المشاهدين، لكن لورا كادت ترتبك، كما سبق لماريللا أن فعلت، عندما لمحت عيني السينيور ديبغو راميريز تشعان غضباً واحتقاراً.

قالت إيلينا وهي ترمق لورا بنظرة ساخرة وهي توضّب الثياب بعد العرض:

«من الغريب أن يحضر السينيور راميريز حفلة العرض من دون أن تكون السينيورا معه. ألا تعتقدين أن هناك سبباً آخر دعاه إلى المجيء؟»

أجابت لورا بجفاف:

«مهما كان السبب، فهذا لا يعني لي شيئاً».

لكن، عندما رأت نظرات إيلينا المذهولة، أضافت بلطف:

«في بلادتي، يا إيلينا، الرجال متحفظون في طريقة التعبير عن إعجابهم بالنساء، وخاصة متى كانوا متزوجين!».

فقالت إيلينا بذهول:

«لكن السينيور راميريز هو...»

فقاطعتها مرتا سكرتيرة المحل حين قالت للآنسة ترانت:

«المعذرة، آنسة ترانت، مطلوبة على الهاتف. مكالمة من لوس انجلوس».

«شكراً، مرتا. إنني آتية للحال».

وبتصميم طردت ديبغو راميريز من أفكارها وأسرعت إلى المحل. لا شك أن المتصل هو تيم كالدير، المسؤول عن دار الأزياء مارينا في لوس انجلوس، ويريد أن يعرف ما هي ردة فعل الجمهور على أزياء الصيف الجديدة. فالدار تفتتح في الأكابولكو فرعها الأول. ولكن، كل ما كانت تنوي أن تسرده عن هذا الانتصار الذي حققته الدار أمحي عن شفيتها عندما عرفت صوت الرجل الذي يكلمها.

«آه، برانت! كنت أتصور أن المتصل هو تيم كالدير ويريد الأخبار الأخيرة حول المعرض».

فأجاب برانت بسخرية:

«هل أنت أسفة لسماع صوت خطيبك؟»

تذكرت لورا في الحال صورة رجل جميل جذاب وبشوش وأجابت وهي ما زالت تلهث:

«كلا. بالطبع. في الواقع، إنني... إنني أفضل لو كنت هنا، معي!».

ضحك ثم قال:

«أحب ما تقولينه. يسرني أن أكون قادراً على الطيران إليك، لكن قضية مرسون باتت ذات أهمية أكبر مما كنت أتصوره ومعقدة أكثر أيضاً».

برانت محام طموح وهو يعمل في قضية ذات أهمية، من شأنها أن تحقق له الشهرة التي يطمح إليها.

ولورا، التي كانت تفضل أن تسمعه يهمس لها بكلمات حنونة، اضطرت إلى سماعه يشرح لها بالتفصيل موقفه أمام المحكمة. وسرعان ما خف انتباهها. لماذا لا تكف عن التفكير بهذا المكسيكي الغاضب الذي كان يبدو قادراً على اعتلاء المنصة وانتشالها من بين العارضات إلى مكان ما في اعماق الغابة؟ لا شك في أن أسلافه الغزاة كانوا يتصرفون هكذا. لو أن هذا السينيور ديبغو راميريز هو المتصل بها، هل كان يزعجها بالتفاصيل القضائية التي لا تفهمها، أو يهمس لها بكلمات الحب في صوت مرتجف؟

وفجأة قالت لورا عندما استعادت وعيها:

«ماذا... ماذا قلت؟»

هل طرح برانت عليها سؤالاً... نعم، لكن ماذا؟

أجاب مازحاً:

«لم تصغي إلى كلمة واحدة مما قلته».

«بلى. بلى. لكن... أنا أيضاً مرهقة في عملي و... أعتقد أن الحرارة تزعجني».

«هنا. المطر يتساقط منذ ثلاثة ايام. إذا لا تتدمري من الحر».

وفي كآبة مريرة حدقت لورا في الملف الجديد الموضوع أمامها على المكتب. لم يسألها أي شيء عن أفعالها. فقط «لا تتدمري من الحر».

«لورا؟»

تنهدت وأجابت:

«نعم».

«ألست واقعة في غرام مكسيكي ذي عينيّن متقدّتين؟»

أجابت وقد أغضبته واقحته:

«في الحقيقة، حتى الآن، لم يتقدّم سوى رجل واحد. إنه جميل المظهر، غني، ودعاني الى تناول طعام العشاء معه مساء امس».

فسألها بسرعة:

«وهلّ لبّيت دعوته؟»

أخيراً بدأ يهتم بها...

«لا. إني خطيبتك، يا برانت، إذا كنت ما تزال تتذكّر ذلك جيداً».

«لا أسمح لك أن تنسي ذلك».

«لا تخف. لا خطر من هذه الناحية. لكن، يا برانت، متى سنحدّد موعد زواجنا؟ لماذا الانتظار؟ يمكنني أن أظلّ أعمل بعد الزواج، و...»

«إنّ زوجتي تبقى في المنزل وتهتمّ بزوجها وبأولادها. لكن لن نناقش هذا الموضوع الآن، على الهاتف. إنّ هذه المكالمات تكلفني كثيراً. أريد فقط أن أشرح لك لماذا لم يتسن لي الوقت كي اكتب إليك. فأنا أعمل ليل نهار في هذه القضية. متى تعتقدين أنك ستعودين؟»

«لا أعرف بعد».

انخفض صوته وقال:

«أنا مشتاق إليك كثيراً، يا حبيبتي».

وبعدما وضعت لورا الساعة، ظلت جالسة مطولاً أمام المكتب، منغمسة في أفكارها. أطلقت زفرة عميقة ثم نهضت وخرجت من المحلّ الفارغ واقتلت الباب وراءها.

الشقة الصغيرة المريحة التي تسكن فيها لورا خلال إقامتها في أكابولكو تقع في الطابق الرابع من فندق بانوراما، حيث يقع المحلّ الجديد أيضاً. تطلّ الشقة على خليج صغير. ولا مرة سئمت لورا هذا المنظر المطل على البحر الذي يبدو في النهار وكأنه يعكس بريق الحجارة النادرة، وفي الليل تحت سماء مخملية حاقلة بالنجوم.

ومن الشرفة كانت تشاهد الرياضيين يمارسون هواية الهبوط بالمظلات فوق المياه الزرقاء. وفي الليل كانت تصغي الى الموسيقى التي يعزفها المكسيكيون على القيثارة والتي يتخللها رقصة الفولادور حيث الرجال يتعلّقون بالحبال على عمود متين موضوع في وسط القاعة ويحومون حوله في دوائر تعلو مع ايقاع الموسيقى الصاخبة. ومن وقت الى وقت يعلو تصفيق حماسي من القاعة اعجاباً وتشجيعاً. وبلا وعي عمدت لورا الى اغلاق باب الشرفة والنافذة، فصوت الابواق بدأ يزعجها. لماذا هذه الموسيقى الشعبية البدائية تخلق فيها الشعور بالوحدة الكثيرة؟ ولماذا تذكرها خاصة بالسينيور ديبغو راميريز، هذا المكسيكي المتعجرف الواثق من نفسه؟

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتوى برادها في المطبخ الصغير،

قررت لورا أن تتوجه الى مطعم الفندق لتتناول طعام العشاء.
فأخذت حماماً سريعاً ثم ارتدت فستاناً طويلاً معرقاً بالاخضر الذي
يشبه لون عينيها. ثم وضعت القليل من مساحيق الزينة على وجهها:
الكحل الاخضر على الجفن، واحمر الشفاه بلون المرجان، ومسحة بودرة
على أنفها الصغير وجبينها الناعم.

ولما ظهرت في بهو المطعم، راح بعض السياح يصفرون. وشفت
لورا طريقاً وسط هؤلاء السياح عندما شعرت بيد قاسية تتأبط
ذراعها وصوت عرفته في الحال يمس في أذنيها.

«كنت في انتظارك. أتريدان تناول العشاء هنا، أو تفضلين مكاناً حياً؟»
وبينما هو يتكلم، أبعداها عن المعجبين فقالت بصوت بارد وهي
تتخلص من قبضته:

«لا تقلق علي، سينيور راميريز. إنني قادرة على أن أتولى أموري
بنفسي.»

«هل أنت على موعد مع أحد ما؟»

بدأت لورا تتكلم وهي تخفض رموشها الطويلة:

«كلا، كنت... كنت أتوجه الى فندق المطعم لتناول العشاء. فالجميع
تعودوا رؤيتي وحيدة.»

قدّم لها ذراعه في لياقة تامة، مما جعلها تتأبطه بعد لحظة تردد.

استقبلها مدير التشريفات في الفندق وقال بعدما عرف باستغراب
رفيقة السينيور:

«أه سينيوريتا ترانت!»

ثم أضاف باحترام كبير:

«مساء الخير، سينيور راميريز!»

«كيف حالك، يا توماس؟»

«حسناً. شكراً. سأقدّم لكما طاولة جيدة.»

قال السينيور وعلى وجهه امارات الاسف:

«لا يمكنني أن أتناول طعام العشاء مع السينيورا هذا المساء. إنني مدعو
ولا يمكنني أن أرفض هذه الدعوة بالذات.»

أجابت لورا في مرج:

«لا داعي للاعتذار، سينيور راميريز. أريد تناول العشاء وحيدة.»

بريق غريب ظهر في الوجه الاسمر. والتفت ديفغو راميريز نحو
مدير التشريفات وتحدث معه باللغة الاسبانية. وأدركت لورا أنها
فهمت انه يتكلم عن السينيورا راميريز وعيد ميلادها.

وبعدما اجلسها أمام طاولة تطل على منظر رائع، على الخليج
المضاء، شرح لها توماس أن هذا العيد سيتم الاحتفال به في غرفة
الطعام التابعة للفندق.

فقالت لتوماس الذي بدا عليه الانهياك والعجلة:

«كنت أفضل أن أجلس امام طاولتي العادية.»

أجابها من دون إخفاء شعوره الفضولي:

«إن السينيور راميريز يصرّ على أن أخصص لك هذه المائدة، من
آن فصاعداً. لا شك أنه سوف يتناول معك العشاء، في معظم
الأوقات؟»

لرّدت لورا في لجة لا يمكن مناقشتها:

«طبعاً لا! هل بإمكانني الحصول على قائمة الطعام، من فضلك؟»

كلمته في هدوء تام، لكنها كانت تغلي في الداخل. وبينما كانت ترمق مدير التشریفات بنظرة عندما كان يعطي أوامره الى الخادم، فهمت من دون صعوبة ماذا كان يقول:

«ان السينيورا الجالسة وراء الطاولة الرقم ١٤ هي الرفيقة الجديدة للسنيور راميريز. اهتم بها جيداً».

كانت لورا تؤذ من كل قلبها أن ترفض العشاء وتعود الى شقتها، لكنها كانت تخشى إثارة مشاكل جديدة، فاكثفت بأن تختار الوجبة البسيطة. لكنها صرخت عندما رأت الخادم يجلب لها المشروب المثالي في زجاجة على رأسها وردة حمراء:

«لكن لم أطلب ذلك المشروب!»

«إنها أوامر السنيور راميريز».

«لا أريد أن أشرب شيئاً. اعدّها من فضلك!»

كانت طاولة السنيور راميريز التي تحتل وسط غرفة الطعام تضم أفراد المجتمع المكسيكي الرفيع. وكان يترأس الطاولة ديفغو راميريز وزوجته التي كانت تشع جمالاً في فستانها المطرز المصنوع من القطن الأبيض وكانت تبدو سعيدة لأن تكون هدف نظرات الإعجاب كلها.

وعندما رفع ديفغو كأسه ليشرب في صحة السينيورا وهو ينظر اليها في حنان، وضعت لورا منشفتها وخرجت بسرعة من المطعم. كيف يمكن لرجل يحب زوجته الى هذه الدرجة أن يمهد لأقامة علاقة مع امرأة أخرى. ليس في الكون رجل يشبه الرجل اللاتيني الذي يفرض على زوجته القبود، ويطلق لنفسه العنان في إقامة أية علاقة يريد مع النساء!

٢ - 'كذبة بيضاء... اسودّت

مرّ اسبوع بكامله، لم تتبادل لورا خلاله الحديث مع ديفغو راميريز. ومع ذلك، فقد ظلت تعي وجوده في قريتها. وعندما كانت تهتم بزبائنهن، غالباً ما كانت تلاحظ شبح السنيور المشوق يقف أمام الواجهة. وكلما ذهبت لتبتاع لنفسها شيئاً من المحلات، تراه هناك، على بعد أمتار قليلة منها. حتى في الكنيسة حيث كانت تذهب من وقت الى آخر لتبحث عن الهدوء والصفاء اللذين شعرت بهما خلال السنوات التي عاشتها في دير الراهبات في لوس انجلوس، حيث أمضت كل سنواتها الدراسية، كانت تلمحه من بعيد مستنداً الى أحد عواميد البناء.

وكلما رآته تشعر بتوتر مفاجئ، الى درجة أنها بدأت تبحث عنه بنظراتها في أي مكان كانت تذهب اليه. وإذا لم تره صدفة، كانت تشعر بقلق غريب، كالأحاساس بالفراغ.

«يا لحماقتها!» كانت توبّخ نفسها وهي ممّدة على الشاطئ الرملي المهرق، أمام الفندق. لن تذهب بعيداً الى الشعور بالقلق تجاه الاهتمام الودي الذي يظهره لها لاتيني يكرس حياته لامرأة أخرى ومرتبطة بها

وهي زوجته. تربيتها الصارمة تفرض عليها الابتعاد عن رجل متزوج،
 مهما كان جذاباً واثقاً وصاحب نفوذ. والسينيور ديبغو راميريز هو
 كذلك حقاً إن رؤيته وحدها تكفي لأثارة لورا وتشويش أفكارها.
 على بعد منها، على الشاطئ، كان يجلس شاب مكسيكي، يرتدي
 زي السباحة يظهر استمرار جسمه النحيل، قد نجح في جذب سائحة
 أمريكية في سن متقدمة... وهي من تلك النساء الوحيدات، الثريات،
 اللواتي جئن إلى الريفيرا المكسيكية للبحث عن اللهو وكسر روتين
 حياتهن الرزينة. ومنذ أن وصلت لورا إلى الأكابولكو وهي ترى
 مثل هذا المشهد يتكرر يومياً، مما يزعجها ويجرح إحساسها التقليدي.
 الشمس القوية أرغمتها على إغماض عينيها. فهي لا تخاف هؤلاء
 الرجال. إنهم يعرفون أنها ليست غنية ولا تبحث عن مغامرة عاطفية،
 لذلك لا يضيّعون وقتهم في ملاحقتها بحضورهم المتواصل.
 ووراء جفنيها المغمضين، شعرت بظلّ ينعكس على وجهها. فتحت
 عينيها قليلاً، وفوجئت بنظرات ديبغو راميريز الحارة تحدّق فيها.
 كان يرتدي زي سباحة أبيض. ولثوان عديدة تبادلنا النظرات، كأنهما
 يلتقيان للمرة الأولى.

قالت لورا بعد جهد:

«ماذا تفعل هنا؟»

«إنني هنا مثلاً أنت هنا، للسبب نفسه... كي أستحم. هذا مسموح،
 أليس كذلك؟»

همست لورا بسخرية وهي تجلس:

«لا تريد إقناعي بأنك لا تملك شاطئاً خاصاً بك.»

جلس ديبغو قرب لورا التي تناولت نظارتها من حقيبته يدها
 ووضعتها على عينيها بسرعة.

«ليس في المكسيك شواطئ خاصة. إنني أملك فيللاً في الجنوب على
 بعد بضعة كيلومترات من هنا. ولحسن الحظ أن السياح يفضلون
 أكابولكو ولا يذهبون بعيداً حتى هناك.»

قالت لورا بسخرية وهي تدع الرمل ينزلق بين أصابعها:

«ما أروع أن يملك المرء مالاً كثيراً يتيح له أن يتمتع بحياته الخاصة.
 فأجاب معترفاً:

«هذه حسنة المال، لكن ينبغي ألا تنسى ما يفرضه من أعباء
 ومسؤوليات.»

تردّد عندما لفظ الكلمة الأخيرة، فنظرت إليه لورا في حيرة
 وارتباك. ذكرتها كلمة المسؤوليات بزوجته التي احتفل بعيد ميلادها
 بطريقة ودية في الأسبوع الماضي. سألتها:

«هل لديك أولاد؟»

«كلا. لسوء الحظ لكن ذلك وارد من ضمن مشاريعي للمستقبل.»

وبينما كانت لورا تتأمل السباحين يغطسون في البحر، ارتسمت
 على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

«اعتقد بأن هدف الرجل اللاتيني، عندما يتزوج، هو أن يظهر رجولته
 ويفرض على زوجته أن تنجب له ولداً بعد أقل من سنة.»

سكتت لحظة وتساءلت في نفسها: هل هو حقاً الحديث الذي يجب أن
 أتبادل مع إنسان مجهول؟

قال في مرح وهو يحدّق في عينيها:

«لا تنسي يا عزيزتي أن النساء اللاتينات لا يعترضن على ذلك».

ثم سألتها فجأة:

«هل لديك صديق؟»

«ماذا تعني؟»

«غريب حقاً أن تجلس امرأة جميلة على شاطئ البحر بدون شخص

يحميها من نظرات الرجال الذين يبحثون عن طريدة جميلة مثلك».

وبحركة من يده أشار ليس فقط الى الرجال المكسيكيين، بل الى

السياح الأميركيين الذين لم يكفوا منذ أن وصلت الى الشاطئ، عن

التحديق فيها.

قالت:

«سبق لي وقلت إنني في سن ناضجة تسمح لي بالالتكال على نفسي. أما

الجواب عن سؤالك فهو نعم. لدي صديق وهو خطيبي، لكنه حالياً في

لوس انجلوس».

أطلق صغيراً مصحوباً بالدهشة، فقالت لورا لنفسها في غيظ:

كل الرجال وقحون. لا يتورعون عن سجن زوجاتهم، ويعتبرون

اخلاص المرأة للزوج او الخطيب شتيمة أو عاراً.

قال في سخرية:

«لكنك لا تضعين خاتم الخطبة».

«إنني أضعه باستمرار، لكنني خلعتة لأنني أخاف أن يسقط مني في

الماء أو في ...».

«وأظن أنك تخشين أيضاً أن تفقديه خلال العمل».

رمقته لورا بنظرة ساخطة وقالت:

«أثناء عرض الازياء لا تضع العارضة سوى المجوهرات التابعة

للمؤسسة التي تعمل فيها. والآن يا سينيور، أرجو أن تعذرني لأنني

مضطرة الى الذهاب لأدعك تستمتع بالسباحة».

قال ويهز كتفيه:

«هذا غير مهم في الوقت الحاضر».

نهض وأصر على أن يرافقها الى الفندق. وبرغم انزعاجها فاتها لم

تستطع أن تتجاهل نظرات النساء تلاحق السينيور في تحركاته.

فتح باب الفندق وابتعد عنه ليدعها تدخل الى البهو المكيف وتبعها

حتى المصعد. سألتها في لا مبالاة وهو يتكىء الى الحائط:

«هل تحبين أن تتناولي طعام العشاء معي مساء اليوم. إن أكابولكو

ليست المكان المناسب لامرأة وحيدة».

«أفضل أن أتناول طعام العشاء وحدي، على أن أكون مع رجل معروف

جداً، فضلاً عن انه متزوج».

صمتت لحظة ثم قالت وهي تشير في اتجاه الباب الزجاجي الذي

يطل على الخليج:

«على الشاطئ عدد كبير من النساء اللواتي يسرن قبول دعوتك الى

العشاء».

تنهد وهو يتسم وقال:

«أعرف ذلك جيداً، لكنني أحب أن أعب دور الصياد، لا دور

الطريدة».

ارتعشت لورا بالرغم منها. ليس من الصعب تصوّر هذا النوع

من الرجال، وهم يلاحقون الطريدة ويتمسكون بها الى أن تستسلم.

قالت:

«لا أرى مانعاً بأن تلعب دور الصيد، شرط ألا أكون من بين الطرائد».

قال وهو يتبعها بنظراته، وهي تدخل الى المصعد:

«إنك تطلين مني الكثير يا لورا. الى اللقاء».

على مدى اسبوع اختفى السينيور ديبغو راميريز من أكابولكو. وقد حاولت لورا اقناع نفسها بأنها تشعر بارتياح بغيابه، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فقد شعرت بشوق كبير اليه.

نادتها سكرتيرة المحل للرد على الهاتف. وعندما تعرفت الى صوت

ديبغو قالت له في جفاء:

«هل تتكلم بالأناضلياني بعد الآن؟ اذا كنت مصراً على إزعاجي، فسأضطر الى الاستعانة بحارس خاص».

لكن هذا التهديد لم يؤثر فيه فقال وهو يطلق ضحكة صغيرة:

«استغرب كيف أن امرأة في مثل جمالك البارد تتصرف بهذا الغليان والتوتر! لا أنوي إزعاجك. أريد فقط أن أجد لك دعوتي الى العشاء».

«هذا ما اعتبره إزعاجاً للناس، يا سينيورا كم مرة ينبغي أن أقول ان دعوتك هذه لا تهمني ابداً؟»

«لورا، بإمكانك أن تؤذي لي خدمة كبيرة. علي أن أستقبل رجل أعمال وزوجته وهو مثلك أمريكي الجنسية، وأفضل ألا أكون وحيداً من دون رفيقة».

«هذا مستحيل، يا سينيور. لأنني سأعشى مع خطيبي».

ران صمت قصير قطعه السينيور قائلاً في جفاء:

«فهمت. ينبغي أن أبحث عن رفيقة أخرى».

قالت في لهجة ثابتة قبل أن تضع ساعة الهاتف بخشونة:

«سبق وقلت لك، إنك لن تجد صعوبة في العثور على رفيقة».

وبعد انتهاء المحادثة بقيت لورا تحديق في الهاتف في امعان وهي تعض على شفيتها بتوتر. إن ديبغو راميريز هو الذي سبب كل هذا التوتر. فهي لا تحب الكذب. كما أنها ستكون وحيدة، هذه الليلة، كالعادة، بينما لو كانت برفقته لأضمت سهرة ممتعة. ليست في حاجة الى محيلة واسعة لتدرك أنه فارس الأحلام الذي تتمنى كل امرأة أن تكون رفيقة سهراته.

ولما دخلت الى شقتها، سمعت رنين الهاتف. فتساءلت:

«يا إلهي، ربما هذا ديبغو راميريز الذي اكتشف أن خطيبها على بعد ألف ميل من هنا. لكنها عندما عرفت الصوت نسيت في الحال الرجلين وصرخت:

«أبي! أين أنت؟»

ضحك دان ترانت وقال:

«إنني هنا، في أكابولكو. رجلان استأجرا سفينتي في كوس انجلوس وفكرت بأنها الفرصة المناسبة لأن أقوم بزيارة قصيرة الى ابنتي الوحيدة».

«وكم من الوقت ستبقى هنا؟»

«أه، أيام قليلة فقط هذان الرجلان يصران على أن أنقلها الى مكسيكو في أسرع وقت ممكن. من الأفضل لها أن يأخذ الطائرة الى مكسيكو. لكنهما يحبان ممارسة هوايتهما المفضلة وهي صيد الأسماك، مع أنها لا يعرفان تماماً كيف يحملان قسبة الصيد».

«هذا لا يهم. متى أراك؟ إنني في شوق اليك».

«سأقوم ببعض المشتريات للسفينة... أيتأسبك أن ألتقيك في الفندق بعد ذلك؟ يجب الاحتفال بهذا اللقاء كما ينبغي، يا صغيرتي. وأنت اختاري كيف تريدين أن يكون الاحتفال. لا شك أنك تعرفين المطاعم المشهورة، أليس كذلك؟»

أجابت لورا بفرح:

«يمكننا الذهاب إلى الميرادور، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نحضر مشهد الغطس، إنه مشهد لا يمكن تفويته».

«كما تشائين. هل في إمكانك الاهتمام بحجز مكانين؟»

«نعم».

بعد أن أقفلت لورا ساعة الهاتف، طلبت رقم المطعم وحجزت طاولة للساعة الثامنة والنصف. هكذا سيكون أمامها الوقت الكافي لتناول العشاء بهدوء قبل حضور مشهد القفز والغطس من أعلى الشرفات التي تطل على الشاطئ الصغير.

وبعد أن أخذت حماماً سريعاً ارتدت فستاناً أسود يتلائم مع شعرها الأشقر بشكل بارز.

بعد وفاة زوجته، تخلى دان ترانت عن كل شيء : عمله في السمسة البحرية، ومنزله وحتى ابنته. إذ بعد شهرين من وفاة والدتها دخلت لورا دير الراهبات. واشترى والدها بختاً. وعندما كان يشعر بحاجة إلى المال كان يؤجر البخت ويقترح على المستأجرين خدماته كقبطان السفينة.

وفي مخيلة لورا ذكريات ساحرة عن العطلات التي كانت

تقضيها على متن سفينة والدها التي دعاها بربارا على اسم والدتها. كان ذلك ممتعاً لها ولولاً أسابيع قليلة، لتتخلص من أجواء الدير المملة والكنيسة.

طرقات متواصلة على الباب جعلتها تدرك أن الطارق هو والدها الذي كثيراً ما أخرجها من أحلام المراهقة العاطفية بالطريقة على الباب كأنه يدق على الطبل.

صرخت لورا وهي تبكي وتضحك في آن واحد معاً بينما كان والدها يعانقها بحنان في ذراعيه القويتين:

«أبي! أه، كم أنا سعيدة لرؤيتك!»

لم يتسن لها الوقت لتعانين وجه والدها إلا بعدما جلسا مواجهة وراء طاولة المطعم. ما يزال يتمتع بالنظرات الزرقاء نفسها، لكن تجاعيد وجهه بدأت بالظهور، وشعره البني الكثيف بدأت تتخلله بعض الحاصل الرمادية وخاصة حول الأذن. لكنه ما زال رجلاً يظهر حسن وجذاب. وبينما كانت لورا تراقب نظرات بعض النساء المركزة على والدها، تساءلت لماذا لم يتزوج دان مرة ثانية.

نساء كثيرات كانت تحمن حوله وخاصة الجميلات منهن. لكن ولا واحدة كانت تتمتع بأناقة والدتها وجاذبيتها وشعرها الأشقر كسنا بل اللصع. ولا واحدة كانت قادرة على أن تحل مكانها.

قال دان ترانت وهو يبتسم:

«لا تلتفتي إلى الوراء، يا صغيرتي. هناك رجل وراء الطاولة البعيدة يرملي بنظرات غاضبة. يبدو حقاً أنه مكسيكي. هل تعرفين أحداً

هنا؟»

ومن دون أن تلتفت أدركت لورا أن الرجل الذي يحدّق في والدها ليس سوى السينيور ديبغو راميريز. لماذا يظهر هذا الشيطان في أي مكان تذهب إليه. وخصوصاً هذا المساء بالذات، إذ من المفروض أنها تتناول العشاء مع خطيبها!

أجابت في جفاف:

«إنني أعرفه من بعيد. إنه واحد من الذين يعتبرون أن كل شيء مسموح. لقد دعاني مرّات عديدة إلى العشاء من دون علم زوجته بالطبع.»

صرخ دان مستغرباً:

«هل هو متزوج؟ وهذه المرأة الجميلة التي معه، هل هي زوجته؟ لكن لماذا ينظر إلى هكذا؟»

هزّت لورا كتفيها:

«تجاهله، أرجوك. هؤلاء المكسيكيون يتصرفون بوقاحة لا مثيل لها.»

«إذا حاول أن يعامل ابنتي بهذه الطريقة، بهذه الجرأة الفظة...»

قاطعت لورا قائلة:

«إنني أعرف تماماً كيف أتصرف. لا تقلق عليّ. ولا تنس أنني مخطوبة.»

قال وهو ينظر إلى خاتم الخطبة في يد ابنته:

«نعم. صحيح. إنني لا أنسى.»

في لقائهما الأول ظهر بوضوح أن دان وبرانت لم يستلطفا بعضهما البعض.

فالمحامي الشاب لم يكن راضياً على طريقة حياة دان البوهيمية، هو الذي يعيش حياة منظمة. ولاحظ دان هذا الشعور وحزن على ابنته. لكنه مع ذلك كان يحترم اختيارها.

قالت لورا وهي تنحني نحو والدها:

«سأغيب لحظة صغيرة. وبعد أن أعود نبحث عن زاوية تطل على الخليج حتى نتمكن من مشاهدة القطاسين جيداً.»

قال وهو يبتسم بحنان:

«كما تشائين، يا صغيرتي.»

فكرت لورا وهي تمر بين الطاولات كيف أن والدها ما زال جذاباً وأسفت لأنه لم يتزوج بعد وفاة والدتها. الحياة الروتينية التي يعيشها لا شك أنها تزعجه، فهو يستحق حياة أفضل.

وبعدما خرجت من الحمام أسرعت تغسل يدها وتضع على وجهها بعض الزينة والعطور. ثم خرجت إلى البهو خافضة الرأس وهي تحاول إغلاق حقيبة يدها. لم تر الشبح الذي يرتدي البذلة السوداء يظهر من وراء شتلة ضخمة ويحجبها بعنف.

صرخت مستغربة بعدما شاهدت نظرات ديبغو راميريز الشرسة:

«أنت! من أين أتيت؟»

أجابها في غيظ لم يعرف أن يكتبه جيداً:

«كنت أراقبك. لدي ما أقوله لك.»

«صحيح! وماذا تريد أن تقول؟ اختصر كلامك. لا أنوي أن أدع رفيقي ينتظر.»

فقال في حدة متجاهلاً نظرات الفضول التي رمقها بها الحضور:

«أريد أن أكلمك عنه! إنه يكبرك سنّاً في شكل ظاهر.»

«من يكبرني سنّاً؟ هل تقصد...؟»

أجاب في شراسة:

«خطيبك طبعاً. لا شك أنك في سن والدك!»

كبت لورا قدر الامكان رغبته الملمحة في الضحك. ديبغو يعتبر والدها خطيبها. اذاً هو السبب الذي من أجله كان يرمق والدها بنظرات غاضبة.

بدأت تقول بصوت متردد:

«لكنه و...»

ثم توقفت لحظة مدركة أن كذبتها انفضحت. ثم تابعت تقول:

«إن له قلب شاب».

قال ديبغو راميريز في حقد:

«صحيح! إنه يكبرك في السن سنوات عديدة، فكيف ترتبطين به مدى الحياة؟»

وبعدما ألقى نظرة خاطفة الى السياح الذاهبين والآتين داخل البهو، أمسكها من معصمها وجذبها وراء مجموعة من المشائل الضخمة وعاد يقول:

«هل بإمكانه أن يوفر لك الحب والشوق واللهفة؟ هل سبق أن عانقك؟»
فجأة، جذبها نحوه وشدها الى صدره وراح يعانقها بشغف حتى جعلها تلهث خاضعة وتقول:

«دعني أرجوك!»

«أدرك تماماً انه لم يسبق له أن عانقك كما يجب»

فقالت في غضب وهي تتخلص من قبضته:

«وأنت، يا سينيور، منذ متى لم تعانق زوجتك هكذا».

عندما عادت الى والدها، كان وجهها ما زال مضطرباً وقدمها تترجفان.

«آه، ها أنت قد عدت! اجلسي واحتسي القهوة. ما زال أمامنا بعض الوقت قبل أن يبدأ مشهد الغطس».

جلست في الكرسي وهي لا تزال متأثرة بالصدمة. وهنا مر السينيور في قربها، فخفف من خطواته وهدق فيها ثم تابع طريقه.

نظر دان الى ابنته في حيرة وارتباك، كأنه فهم ما حدث منذ لحظة، على بعد أمتار قليلة منه.

فسألها في قلق:

«أليس هذا الرجل هو المعجب بك؟»

«كيف؟ آه! نعم...»

«لو كان برانت ينظر اليك كما نظر اليك هذا الرجل، لكنت سعيداً جداً».

بعد فترة صمت، أجابت لورا:

«أبي، إن برانت يحبني. وهو ينوي الزواج مني. أليس هذا كافياً؟»

فقال لها وهو يربت على يدها في حنان:

«لكن، يا حبيبتي، يجب ألا تخلطي الأمان والاستقرار بالحب والرغبة. إن برانت شاب لطيف، لن يضربك وسيكون زوجاً صالحاً لك.

وتشمتعين معه بحياة راغدة، وستسكنين في منزل صغير جميل في الضاحية. وستنجبين ولدين مثل الجميع... لكن... لا أعرف جيداً كيف

أشرح لك... لن تعيشي الحياة التي عشتها مع أمك... كنا زوجين مثاليين وفي الوقت نفسه غير عاديين...»

فقالت لورا في صوت مفاجيء ومبحوح وعيناها تدمعان:
«أعرف ذلك تماماً. أنت وأمي كننا زوجين راتعين واستثنائيين، ومن
النادر اليوم أن نجد مثلكما في هذا العالم. ماذا علي أن أفعل؟ يجب أن
أقتنع بما عندي... على الأقل...»

«ربما أنت على حق... هيّا بنا نتفرج على الغطس».

تبع لورا والدها خارج غرفة الطعام. غير أنها لم تستطع أن
تقاوم رغبتهما في إلقاء نظرة خاطفة على مائدة ديبغو راميريز. كان
معه الزوجان الأميركيان اللذان حدثها عنها، وامرأة شابة سمراء رائعة
الجمال. ابتسمت لها المرأة. لم يجد ديبغو صعوبة في إيجاد رفيقة له.
وفي حركة آلية رفعت لورا يدها لتلمس شعرها وشاهدت ديبغو
يحقق في خاتم الخطبة الذي يلمع في أصبعها.

أسرعت باللاحاق بوالدها الذي ابتسم لها بحرارة وأدخل الى قلبها
العزاء والمواساة.

استرعى انتباهها الشاطئ الصخري الذي بدأ يشع تدريجياً
بالأضواء المختلفة الألوان. شاهدت لورا رجلاً مستعداً للقفز، بشرته
تلمع تحت تأثير الاضاءة الكثيفة. كان يقف على نتوء صخري، من
علو شاهق. أحتى رأسه وبدأ أنه يحقق في إمعان الى المياه التي تغلي
من تحته.

سبق للورا أن شاهدت بإعجاب كبير مرات عديدة هذا المنظر
الذي يحبس الأنفاس. فأسرعت تشرح لوالدها الوجه التقني للغطس:
«عليهم أن يصمّموا قفزتهم بعناية. في الحالة العادية، لا يتجاوز عمق
المياه أكثر من مترين ونصف متر بانتظار أن تأتي موجة قوية ترفع

الماء الى علو أربعة أمتار. وهذا الحد الأدنى المنتظر لتحقيق القفزة».
«أريد أن أصدق ذلك. من المفروض إذاً أن يستعدّ لوثبة قوية
ليتحاشى السقوط على الصخرة».
«طبعاً. أه. انظرا إنه يقفز».

رفع الغطاس ذراعيه، وحبس المتفرجون أنفاسهم وهم يشاهدون هذا
الجسم النحيل يستعد للقفز، ويحلق مكتفياً ذراعيه مثل مثل عصفور
متألق، قبل أن يغطس مثل السهم في الماء التي تتصاعد منها الرغوة
البيضاء.

التفتت لورا الى والدها الذي كان يمك بيدها ويبتسم لها في
حنان هامساً:

«إن هذا المشهد مثير حقاً».

«انتظر رؤية الذين يقفزون من قمة الصخور، من علو أربعين متراً
أو أكثر. لقد شاهدت هذا المنظر مئات المرات وما زلت أرتعب كأنها المرة
الأولى».

همس دان وهو يبتسم في وجهها المتألق الذي يذكره بزوجته
الراحلة:

«إنني اتساءل ما إذا كان قلبي يتحمل هذا النوع من الانفعال».

قالت لورا ضاحكة وهي تتطلع الى العدد الهائل من الناس
المحيطين بها:

«يجب أن تتحمل ذلك، اذ ليست هناك طريقة نستطيع فيها أن نغادر
المكان وسط هذا الحشد».

فجأة ماتت الكلمات على شفيتها، فقد التفت نظراتها بنظرات

راميريز التي كانت تشع بانفعال غريب.

فوجيء. دان بسكوت ابنته فتطلع اليها وقال:

«لورا، ماذا بك».

«نعم».

نفضت لورا جفניה كأنها تستيقظ من حلم، ثم قالت:

«انظر يا أبي، شاب آخر سيقفز الآن».

تطلع دان نحو قمة الصخرة حيث رأى غطاساً ينتظر في انتباه أن
تفقس الأمواج على علو أربعين متراً منه.

الجمهور الذي شاهد هذا الجسم النحيل الأسمر المليء بالحويصة
يلتطم بالموجة العالية، بدأ يصرخ بحماس ويطلق زفرات الارتياح.
وتساءلت لورا: ترى لماذا يفكر الرياضيون لحظة القفز في الفراغ، ربما
الى الأبد....

رفعت عينيها الحاملتين، والتقت مرة أخرى بنظرات ديبغو القوية،
كأنه لم يحول نظره عنها طوال الوقت، قارئاً كل ما يدور في أفكارها.
نهضت لورا تاركة المكان لغيرها من المشاهدين، وبعد لحظات
كانت مع والدها قد غادرا فندق الميرادور.

وعندما أوصلها دان الى فندق بانوراما رفض أن يتناول أي
شراب وقال مبتسماً:

«الى مساء غد، يا صغيرتي. هل تتناولين العشاء معي على متن
السفينة؟»

«بكل سرور».

«أخشى ألا أكون قادراً على أن أعد لك وليمة في الوقت الحاضر».

ابتسمت لورا وقالت:

«فهست. سأحضر معي كل ما نحتاج اليه للعشاء. لا تقلق يا أبي،
فسأعد لك عشاءً لذيذاً».

«هل يوافقك أن يكون الموعد الساعة السادسة؟»

قالت لورا وهي تقف على رؤوس أصابعها لتقبل والدها:

«اتفقنا».

وعندما أصبحت في شقتها أخذت تزرع أرض الدار ذهاباً وإياباً
مئات المرات، مقطبة الجبين، قلبها الحزين عامر بالكآبة والقلق. ماذا
جرى بينها وبين والدها؟ خيل إليها أن أحاديث دان الودية تخفي
قلقاً غامضاً...

إلى حيث يرسو يخث والدها.

صعدت الى سطح اليخت الخلفي فلم تجد أحداً. فنادت وهي تقترب
من السلم الذي يؤدي الى قاعة الجلوس والمطبخ:
«أبي! أبي! إني هنا».

لا جواب. هبطت لورا بحذر السلم الضيق. المطبخ الصغير كان
فارغاً، وكذلك غرفة الجلوس التي تحتوي على طاولة في وسطها،
ومقاعد مغلقة بالتسيج القطني ذي الالوان الزاهية.

اتكأت لورا على أحد الجوانب وغرقت في الذكريات: تعرّفت الى
الرائحة العادية الممزوجة برائحة سكاكر والدها، وبدأت تنفعل. كم هي
نادمة لأنها لم تكن مثله شريفة البحار. غير أن دان فضل العمل
بنصائح الراهبات اللواتي أشرن عليه بادخال لورا المدرسة الداخلية
إذا أراد أن يضمن مستقبلها.

ترعرعت لورا على أيدي الراهبات اللواتي كرسن حياتهن للتربية
والتعليم. مرة حدثتها الأخت كرميليتا، ذات الوجه الملائكي، التي
كانت تعلمها اللغة الاسبانية، عن مستقبلها كأمرأة وذلك عندما
عبرت لورا عن رغبتها في دخول سلك الرهبنة. إذ قالت لها الراهبة
في لطف وهي تبتسم:

«لا يا لورا. سيدخل حياتك يوماً ما رجل يغمرك بحنانه وتنجبين منه
أولاداً تسعدان بهم. أعتقد يا ابنتي أن دخولك السلك سيكون غلطة».

سرعان ما نسيت لورا هذه الرغبة، لكن كلمات الاخت
كرميليتا ظلت محفورة في ذهنها. وعندما التقت برانت اعتقدت
أنه هو رجل حياتها، فهو يتمتع بمزايا خلقية رفيعة، أهمها أنه لا يحاول

٣ - أمور تحدث سريعاً!

لا شك في أن المكسيكيين أسوأ من قاد السيارات في العالم.
رددت لورا هذا الكلام وهي تقود السيارة على طول الجادة الجميلة،
التي تمتد بمحاذاة مجموعة الفنادق الضخمة المطلة على الخليج. ومرة،
خلال حفلة استقبال حضرتها قال لها رجل أعمال مكسيكي: الرجال
هنا جبابرة أقوىاء. وأضاف:

«في بلادنا، وفي كل المناسبات، على المكسيكي أن يفرض سيطرته.
وسواء حاول الحصول على امرأة أو كان يقود سيارته، فانه مضطر الى
أن يفعل المستحيل ليؤكد سطوته وعلوّ شأنه. وما على المرأة إلا أن
تطيع».

استعادت هذه الكلمات، وهي تحاول عبثاً أن تغير اتجاه سيرها
لتستطيع سلوك طريق المرفأ. فجأة توقف سائق تاكسي ورمقها بنظرة
إعجاب، وتخلّى لها عن فسحة استطاعت من خلالها عبور الطريق
المطلوب. وبعد دقائق صفت سيارتها في مرأب نادي اليخوت.

أخرجت من سيارتها كيساً يحتوي على كل ما تحتاجه لأعداد عشاء
أميركي يحب والدها أن يتناوله، ثم سارت على رصيف الشاطئ،

أن يمارس الزواج قبل الأوان، وهذا شيء نادر في هذا العصر حيث لم تعد هناك أية حدود تمنع الرجل والمرأة من الاستمتاع.

تناهت الى سمعها خطوات على متن السفينة، فانتفضت وأسرت الى تسلق السلالم:

«أبي، أين كنت؟ أرجو ألا تكون قد اشتريت أغراضاً للعشاء لأنني...»
سكنت فجأة وهي ترى شبح ديبغو راميريز المشوق والمفرط في الأناقة منتصباً أمامها.

سألته في لهجة باردة:

«ماذا تفعل هنا؟ بدأت أسأم رؤيتك وملاحقتك لي في كل مكان. سيأتي والدي في أية لحظة الآن، لذلك أنصحك بالذهاب».

قال متجاهلاً ملاحظتها:

«أيمكنني الهبوط الى داخل اليخت؟»

«والدي في طريقه الى هنا، ولن تسره رؤيتك على متن سفينته».

لم يأبه لهذا التهديد، بل توجه في هدوء الى غرفة الجلوس وقال:
«اجلسي، يا لورا. لدي أمر مهم أريد أن أحدثك فيه».

فقال في لهجة حاسمة:

«أرجو أن تقول ما عندك بسرعة، أريد إعداد العشاء لوالدي».

هز رأسه في تعبير أسف، جعل لورا تشعر بجفاف في حلقها وبقلق غامض. قال وهو يسمر عينيه في عينيها:

«أخشى ألا يتمكن والدك من أن يتناول العشاء معك هذا المساء».

«لماذا؟»

«أسف أن أبغلك أن والدك محجوز لدى الشرطة المحلية».

قالت لورا وقلبها ينبض بسرعة:
«الشرطة... إن هذا مستحيل».

«كنت على الشاطئ القريب جداً من هنا. لاحظت زحمة وهياجاً على السفينة. وعرفت الرجل الذي اصطحبته الشرطة: إنه الرجل ذاته الذي كان يرافقك في مطعم الميرادور... وقد كنت أعتبره خطيبك...»

سألت وهي تنهض غاضبة من دون أن تعي ما قال:

«لكن لماذا أوقفت الشرطة والدي؟ لم يقم بشيء غير قانوني طيلة حياته! لا شك أن ذلك خطأ... يجب أن أذهب وأرى ماذا يجري... وسأقول لهم...»

وفي حركة نجح ديبغو في تهدئتها.

«ربما، فيما بعد. علمت من الشرطة التي أوقفته أن والدك متهم بالتورط في عملية تهريب مخدرات. وهنا في المكسيك، تعتبر جريمة كبيرة».

رددت لورا منذهلة:

«تهريب مخدرات؟ أبي؟ لكن مستحيل، هل سمعت ما أقوله! هذا مستحيل!»

قال ديبغو في حزم:

«اجلسي».

هبطت الفتاة في المقعد. أما ديبغو فظل مستنداً الى الطاولة.

«يجب أن تدركي جيداً أن والدك متهم بجريمة بالغة الأهمية. وحسب الأدلة التي اكتشفت على متن الباقرة، فهو معرض لأن يبقى في السجن طيلة الحياة أو لنقل مدة طويلة قبل افتتاح المحكمة».

همست لورا واضعة رأسها بين يديها:

«محكمة؟ لا. لا يمكنني أن أصدق شيئاً كهذا».

«لكن هذا هو الواقع. ذهبت الى مركز الشرطة وتوصلت الى التحدث مع والدك. فأخبرني بأن الرجلين اللذين استأجرا منه اليخت عادا في الصباح الباكر وما لبثا أن غادرا، وقالوا له إنها سيعودان في المساء. وكانا على استعداد للابحار فجر الغد».

قالت لورا مستغربة وهي تقفز:

«رجلان، هما إذا المذنبان. قال لي والدي إنها استأجرا السفينة وفي نيتها الصيد، لكنهما لم يكونا يعرفان شيئاً عن الصيد. سأخبر الشرطة بذلك».

أرادت الاسراع نحو الممر لكن ديفغو أقفل عليها الطريق وقال وهو يسكها من كتفها:

«لا تنصرفي تصرفاً أحمق! هل تتصورين أن الشرطة هنا ستصغي الى ما تقولينه، أنت، ابنته؟»

«لكن، يجب أن أفعل شيئاً ما».

قال لها بلطف:

«لا يمكنك أن تفعلي شيئاً، يا لورا. امام السلطات...»

سألته وقد احتلتها الكآبة فجأة:

«إلى من سألتجىء إذا؟ هل في أكابولكو قنصلية للسولايات المتحدة؟»

«كلا. القنصلية مركزها في مكسيكو. لكن في مثل هذه القضايا، لا يستطيع القنصل أن يفعل أي شيء».

«يبدو وكأنك وجدت الحل. أرجوك، قل لي ماذا افعل!»

حدّق في عيني الفتاة الخضراوين ثم أخفض جفنيه وقال في صوت مبسوح:

«لدي نفوذ في بعض الأوساط».

«يمكنك إذا أن تفعل شيئاً ما لمساعدة والدي».

وفي هذه اللحظة بالذات رفع رأسه وانتفضت الفتاة أمام حدة نظراته القائمة:

«لكن نفوذي يكون له صدى أقوى إذا...»

عمّ صمت طويل راح فيه قلب لورا ينبض بسرعة: وأضاف:

«إذا كنت زوجتي».

كالبلهاء راحت لورا تحنّ في وجهه وهي تلاحظ، برغم الصدمة القوية، وجهه ذا الملامح البارزة ورموش عينيه الطويلة وقساوة فمه ورذدت في صوت خفيض:

«زوجتك؟ لكن ألا تكفيك زوجة واحدة؟»

هزّ رأسه في تلهف:

«أنا لست متزوجاً. والمرأة التي تعتقدين أنها زوجتي، هي في الحقيقة أرملة أخي الصغير، جيم، الذي قتل السنة الماضية في سباق القوارب الآلية».

«لكنني كنت اعتقد...»

توقفت. كل شيء يغلي في ذهنها.

«نعم. إنني أعترف أنني جعلتك تعتقدين أن كونسويلو زوجتي. لم يكن ذلك قصدي في بداية الأمر. لكن عندما وضعت في ذهنك أن

المرأة التي ترافقني في حفلة عرض الأزياء هي زوجتي، لم أكن قادراً أن أنكر ذلك. كنت أريد أن أعرف ما إذا كنت قادرة على الصمود مدة طويلة أمام رجل تعتبرينه متزوجاً.

ولأن تعبيره بعض الشيء:

«إنني أعتزف بانك تصرفت بعناد وتصلب».

ما زالت لورا مضطربة لوضع والدها المؤسف، فلم تسجل هذا الاعتراف الجديد.

«لم أفهم بعد. هل كان ذلك امتحاناً؟ أهذا ما تقصده؟»

«نوعاً ما. نعم».

تناول من جيب سرواله علبة السيكار وأخرج سيكاراً صغيراً وأشعله بقداحة ذهبية. خارت قدما لورا وهبطت في المقعد.

قال ديبغو وهو ينظر من نافذة اليخت:

«هسنتي جداً، فيما يتعلق بهذه الأمور، أن تكون زوجتي مترفعة عن أية شبهة».

تأملته لورا لحظة من غير أن تقول كلمة. فهي حزينة لما حصل لوالدها. ثم صرخت وهي تستعيد وعيها:

«لكنك مجنون حقاً! لن استطيع أن أتزوجك. يبدو أنك نسيت أنني مخطوبة وأني سأتزوج حين أعود إلى لوس أنجلوس».

سأل ديبغو وهو يتفحص وجه لورا الجميل المحمر خجلاً:

«هل تحبين ذلك الرجل؟»

أكدت له وهي تقف لتواجهه وعيناها تتوهجان غضباً:

«طبعاً! ولماذا أتزوجه إذا لم أكن أحبه؟»

«ما من أحد يعرف ما الذي يدفع النساء الى الزواج... هل هو المال، أم المركز أم الاستقرار، أم الحب. خطيبك، هل هو غني؟»

«كلا. إنه محام شاب ما زال في بداية الطريق. يمكنك إذا أن تلغي السببين الاولين».

«إذا لا شك أن السبب الثالث هو الذي ينطبق عليك. الاستقرار... أهذا ما يقدمه لك؟ منزل في حي جميل، وولد أو ولدان، وسهرة نهائية الاسبوع في النادي»

«وماذا عندك ضد هذا النوع من الحياة. في كل حال إنه وضع معظم الناس في بلادنا. ولست أخجل من كوني جزءاً منهم».

ثم اضافت في لهجة ساخرة:

«طبعاً، ليس بإمكان الجميع أن يملكوا منزلاً يقع في محطة الحمامات الأكثر شهرة في العالم، وربما أيضاً قصرأ في مكسيكو»

أخذ ديبغو بحجة من سيكاره وقال في تمهل:

«ليس في هذا خطأ. في كل حال إن المرأة تحب بشغف، الرجل الذي يؤمن لها كل هذه المتعة. هذا ما يوصلنا الى السبب الرابع، الذي هو...»

قاطعت لورا قائلة:

«لماذا نتجادل في هذه الامور السخيفة بينما أبي يقبع في أحد سجون بلادك التعيسة؟ سوف أصبح مجنونة مثلك...»

أجابها ديبغو:

«إنني لست مجنوناً، لكني انتهازي. وأعتزف بأن سجوننا ليست كما يجب، وخصوصاً إذا كان السجين متهاً بتهريب المخدرات. لكن

يمكنني القول إن والدك لا يلقي معاملة سيئة. لقد حاولت اقناعهم بأن

يقدموا له الطعام المعقول وأن يجعلوا زنااته في وضع مريح ومقبول».

فقال في صوت مخنوق:

«شكراً. المال يفعل كل شيء»، أليس كذلك؟»

«في مثل هذا الوضع، المال وحده لا يكفي...»

تردد ثانية ثم أضاف:

«إن الموظفين الذين اتصلت بهم من أجل مساعدة والدك عطفوا عليه،

ليس من أجل المال، بل بسبب قرابتي لوالدك».

«لقرابتك بوالدي...؟ لكنك لم... لم تقل لهم إن... إن...»

قال لها وهو ينظر إليها في جراحة:

«قلت لهم إنك ستصبحين زوجتي، وإنني لا أرى أن أرى عمي يلقي

معاملة المجرمين».

فهمست لورا وهي شاحبة الوجه:

«كيف تجرأت وقلت ذلك؟»

«هل تعارضين أن ينال والدك معاملة حسنة؟»

أجاب في غضب:

«لا. إنما يزعجني أنك كذبت من أجل ذلك. وماذا أخبرت والدي؟ هل

كذبت عليه أيضاً؟»

«الحقيقة. أخبرته عن رغبتني في الزواج منك... وأن ذلك سيتم أبكر مما

كنت أتوقع، نظراً للأوضاع الحالية...»

تقدم ديبغو منها خطوة وأخذها من ذراعيها. وقال في صوت

خفيض:

«لن أخفي عليك أنني كنت أفضل أن يتسنى لي الوقت لأن اغازلك،

يا حبيبتي، لكن...»

وبحركة عنيفة تخلّصت من قبضته وقالت بغضب:

«إنني امنعك من أن تتاديني هكذا! أنا لست حبيبتك ولن أصبح

حبيبتك أبداً».

فقال ديبغو وهو يبتعد عنها:

«حسناً».

توجه نحو السلم ثم التفت ونظر إليها باشمزاز واستخفاف وقال:

«إذا غيرت رأيك، يا آنسة، يمكنك أن تتصلي بي في فيللا جاسينتا.

إنه اسم منزلي».

ثم أخرج من جيبه دفترًا صغيراً، وكتب بعض الأرقام ثم اقتلع

الورقة وأعطائها إياها قائلاً:

«إن رقم هاتفك غير موجود في الدليل الهاتفي. فلا تضيعي الرقم. إلى

اللقاء».

ضغطت لورا على الورقة بين أصابعها الجامدة وهي تنظر إلى

ديبغو يصعد إلى سطح السفينة. وبعد ذهابه شعرت فجأة بضيق

وحيرة. عادت إلى غرفة الجلوس واسترخت في أحد المقاعد، وعيناها

تحدقان في رقم الهاتف الذي انحفر للحال في ذهنها. لكن لا بد من إيجاد

طريقة لإخراج والدها من السجن من دون الاضطرار إلى اللجوء إلى

الزواج من هذا المكسيكي المتوحش!

«أيمكنني أن أفعل لك شيئاً، يا آنسة؟»

إن مهنة لورا جعلتها تعتاد على سماع كلمات الإعجاب. ومع ذلك

فقد انتفضت أمام نظرات الموظف الملحة الذي يحرس باب مركز

الشرطة، وبين شفثيه سيكارة.

«إنتي... أريد أن أرى والدي، دانييل ترانت».

سألتها الشرطي في فضول وهو يعربها بنظرته:

«هل أنت الفتاة الأميركية؟»

فقال بترفع:

«قل لي فقط أين يمكنني التحدث الى الشرطي المسؤول».

أجابها ببطء وفي لهجة مليئة بالاشمزاز والكراهية:

«أظن أنه مشغول في الوقت الحاضر».

لكن لورا مرّت أمامه من دون أن تلح عليه ودخلت الى البهو.

ولاحظت من خلال باب مفتوح رجلاً ضخماً يرتدي بذلة رسمية جالساً

وراء مكتبه، وزجاجة عصير في يده.

ولدى رؤيته الفتاة الشقراء، نهض الضابط في سرعة وقال:

«آنسة، ماذا تريدين؟»

«أريد أن أرى والدي، دانييل ترانت. جيء به الى هنا بعد ظهر اليوم».

فأجابها الرجل مقطباً عن حاجبيه:

«موعد الزيارة ليس الآن. عودي في الغد...»

رفعت الفتاة يدها لتبعد شعرها عن وجهها. وإذا بها ترى ملامح

الضابط تتغير فجأة:

«هل قلت إنك تريدين رؤية السينيور ترانت؟ إذا أنت...»

«ابنته».

«خطيبة السينيور راميريز؟»

سحابة مفاجئة مرّت في عيني الشرطي الصغيرتين. إنه يستغرب

كيف أن رجلاً غنياً أهدى خطيبته خاتم خطبة عادياً جداً.

تبعث الشرطي في طول الممر الضخم التي تفتح عليه الابواب

السوداء الضخمة. فلما وصل الى الباب الاخير، أدخل مفتاحاً في القفل

وفتح الباب.

قالت لورا وهي تدخل الى غرفة صغيرة:

«شكراً، يا سيدي».

الأثاث الوحيد في الزنزانة هو سرير بسيط فوقه رفّ من الخشب

الابيض وطاولة وكريسي كان يجلس فيها والدها. صرخ دان وهو

ينهض:

«لورا، ابنتي الصغيرة!»

ركضت اليه وعانقته وهمست في صوت متقطع وهي تضغط على

كتفيه:

«أبي... أه، أبي!»

فقال في صوت متفعل:

«لم أكن أريد أن تأتي الى هنا. ألم يحضر راميريز معك؟»

«هو؟ أه لا. لا يعرف أنني هنا...»

فقال دان مقطباً حاجبيه:

«إنني أشك في أنه سمح لك أن تأتي لوحده الى مثل هذا المكان.

اجلسي، في الكريسي. وأنا سأجلس على السرير».

ولما رأى نظرات ابنته المشمّزة وهي تنظر إلى غرفته، ابتسم في

سخريّة وقال:

«لا يبدو لك المكان فاخراً، يا صغيرتي، لكنّه بكل تأكيد أفضل منه»

مرة من الزنزانة التي القوني فيها عند وصولي».

فانفجرت قائلة بغضب:

«لكن ليس مفروضاً أن تكون هنا»

أجابها في لهجة مهدئة:

«أعرف ذلك يا صغيرتي. أعرف جيداً. وأنا أيضاً أحسست بالشعور

نفسه. عندما وصلت الى هنا. لكن عندما رأيت كيف يعاملون

الموقوفين...»

توقّف ثم انحنى ليضع مرفقيه على ركبته:

«هل تصدّقين إذا قلت لك إنّ بعض الأميركيين وبعض الأجانب

موجودون هنا منذ أشهر، بل منذ سنوات عديدة، من دون أن يمثلوا أمام

المحكمة. لا عائلاتهم ولا محاموهم ولا أحد يمكن أن يفعل شيئاً

لمساعدتهم».

قالت لورا في استغراب:

«ربما هم مذنبون! لكن أنت لست كذلك، يجب إيجاد طريقة لاقناعهم

بأنك بريء».

تنهّد دان وهو يزرع أرض الغرفة الصغيرة وقال:

«يا ابنتي المسكينة، في هذا البلد، أهم شيء أن يكون لك اصدقاء في

الدولة. على فكرة رجال الشرطة لم يعتقلوا بعد الرجلين اللذين استأجرا

سفينتي».

«متى ألقوا القبض عليها، يطلقانك في الحال».

هزّ دان رأسه وقال:

«هذا شيء رائع! لكن ما أعرفه عن هذين الرجلين قليل جداً، إلاّ أنهما

لن يتردّدا في أن يفعلوا ما في وسعهما للتخلّص من هذه الورطة. يجب

النظر إلى الامور بلا خوف، يا لورا... ربما قالاً إنني متواطئ»

معهما».

«لكن هذا ليس صحيحاً».

وبعد تنهّد عميق، عاد دان ليجلس على السرير، ثم قال:

«أنا وأنت نعرف ذلك تماماً. لكن هل بإمكاننا إقناع الآخرين؟»

فقالت وهي تضغط على يديها:

«سوف أطلب من برانت أن يأتي الى هنا. فهو يعرف ما يجب

عمله».

«هل هذا صحيح؟»

التقى نظره المرتاب بنظر ابنته. فأخفضت لورا عينيها. إنها تعرف

بماذا يفكر والدها. لقد أظهر برانت انزعاجه فيما يتعلّق بالحياة الحرة

التي كان يعيشها والدها. وشعرت لورا بفقدان الامل وقالت في

صوت غير أكيد:

«اسمع. ربما يمكنه أن يدلّنا الى محام صديق له. في كل حال فإن

برانت متخصص بالدفاع عن حقوق الشركات، وهذه القضية

ليست من اختصاصه...»

فقاطعتها دان في قسوة لم تتعوّد عليها من قبل:

«ألم تفهمي ما قلته لك. المحامي الأميركي لا يمكنه أن يفعل شيئاً في

هذا البلد. القانون وحده يطبق».

همست لورا في صوت مخنوق: «لكن يجب أن نفعل شيئاً».

أكد لها دان في قوة:

«هناك شخص واحد قادر على اخراجي من هنا هو السينيور ديبغو راميريز. لديه النفوذ والمال والعلاقات».

توقف قليلاً ثم أضاف:
«وهو يريد الزواج منك».

فهمست قائلة:

«آه. هل فاتحك بالأمر؟»

«تصرف بوضوح... لكن، يا صغيرتي، لماذا لم تخبريني بأن الأمور وصلت الى هذا الحد بينك وبينه؟ مساء امس، في فندق الميرادور جعلتني أعتقد بأنه رجل متزوج...»
«صحيح؟ أوه...»

من الصعب أن تقنع والدها بأنها قبلت الزواج من ديبغو اليوم فقط، بعدما كانت تعتقد بالأمس بأنه متزوج فعلاً.
ليس هناك إلا حل واحد وهو الاعتماد على هذا الرجل المكسيكي لينقذ والدها من هذا المأزق الصعب.
فقالت في خجل:

«في الحقيقة، كان يزعمني بعض الشيء أن أعلمك بقراري قبل أن أفسخ خطبتي من برانت».

وصدقها دان، إذ قال وهو يضحك ليضغط على يديها بحنان:
«إنك لا تتصورين الى أي درجة أنا سعيد من أجلك، يا ابنتي الصغيرة مساء امس، رأيت ديبغو راميريز، شعرت بأنه رجل حياتك، أكثر من برانت. إنني أقول لك هذا بصراحة. إن ديبغو يحبك، هذا هو واضح للغاية. نظراته لا شك فيها، و...»

توقف فجأة ليسرر يده في شعره ثم أضاف:

«شرطاً لا تعتقدي أن هذه الظروف الصعبة هي التي تدفعني لأن أقول ما أقول. أفضل أن أبقى هنا وأموت على أن أراك...»
قاطعته لورا بسرعة قائلة:

«أعرف ذلك، يا أبي. لكن في وسع ديبغو أن يسوي الأمور. إنه يعرف عدداً كبيراً من الشخصيات البارزة في الدولة. سترى أن بقاءك في السجن لن يطول».

«هل أنت متأكدة تماماً من عواطفك يا لورا؟ الزواج من رجل مثل راميريز هو زواج لا يمكن فسخه، لا تنسي ذلك. إذا كنت تشعرين بأنك غير واثقة من الأمر، قولي بصراحة. في كل حال لا شيء يؤكد أنني سأستعيد حريتي حتى ولو بمساعدة ديبغو. يجب ألا تتأثري بوضعي الحالي ولا تلقي بنفسك في زواج تندمين عليه مدى الحياة».
أخفضت لورا عينيها على يدي والدها الضاعطتين على يديها.
لقد أكدت والدها قائلاً: «الزواج برجل مثل راميريز هو زواج لا يمكن فسخه». وهي التي كانت تظن أن هذا الزواج مؤقت ينتهي بمجرد خروج والدها من السجن. ومع ذلك شعرت بالأمل في أن كل شيء سيتم بصورة حسنة. رفعت عينيها ونظرت الى والدها وقالت:
«نعم، يا أبي. إنني متأكدة من حقيقة عواطفني. ولا أتصور حياة سعيدة من دون ديبغو».

وللمرة الاولى، ابتسم دان في استرخاء. وعندما غادرت لورا والدها بعد دقائق، كان في غاية الغبطة والانشراح ومتفائلاً بقدرة صهره العتيق على وضع حد لهذه الأزمة.

«إنني... لورا ترانت».

«آه...»

ران صمت طويل. وتساءلت لورا ما إذا كان محدثها يكتفي برؤيتها تعتذر جهاراً.

فقال أخيراً في لهجة مألوفة:

«هل زرت والدك؟»

«إنني... نعم، مساء أمس. إنني... إنني مستعدة للتفكير في عرضك...»

عم صمت من جديد، وطال إلى حد أنها ظنت أن المكالمة قطعت. وبعد ثوان عديدة قال ديفغو في لهجة لا مبالية:

«من الأفضل أن تكلميني عندما تقررين قبول العرض».

بعد ساعات من التفكير المستمر والعذاب للتوصل إلى هذا الحل كانت تأمل منه على الأقل أن يقوم هو أيضاً بجهد من جانبه. لكن يبدو أنه ليس من طبيعة ديفغو راميريز أنه يبدي بعض التفهم وقليلاً من الرحمة.

همست في صوت مخنوق:

«حسناً. إنني أوافق على الزواج منك».

طبعاً لم تكن تنتظر منه كلمات الحب، لكن خاب ظنها من ردة فعله الموجزة.

«سأوافيك بعد نصف ساعة. هل أنت في الفندق؟»

«نعم».

«إلى اللقاء يا لورا».

بينما كانت تذرع الأرض بعصبية ذهاباً وإياباً بين غرفتها وغرفة

٤ - انتظرتك منذ الأزل

«ألو».

كانت لورا تنتظر أن تسمع صوت ديفغو راميريز البارد. لكنها فوجئت بصوت امرأة، فقالت بعد تردد:

«هل... هل بإمكانني التحدث مع السينيور راميريز؟»

«السينيور راميريز يأخذ حماماً في بركة السباحة. هل الأمر طارئ؟»
«نعم. سأنتظر على الحظ».

أخذت لورا ترتجف. إذا افقلت الساعة، فلن تستعيد شجاعته لتطلبه من جديد. فمن الأفضل الانتظار.

«لحظة، من فضلك».

كانت لورا تطرق بعنف على طاولة الهاتف وتحاول تهدئة أعصابها. من مع ديفغو في بركة السباحة؟ ربما كونسويلو. ذات القامة المشوقة والعينين السوداوين الجميلتين. ليس من الصعب التصور أن هذا الرجل لا يمانع في رؤية النساء الجميلات في زي السباحة.

فقالت في صوت متردد:

الجلوس، بدا لها الوقت طويلاً. كانت في حالة قلق ولبلة عاجزة على أن ترى المنظر الساحر الذي يطل من شرفتها على البحر وراء شاطئ، رملي أبيض محاط بأشجار النخيل العديدة.

لماذا يريد ديبغو راميريز، هذا الرجل الثري وصاحب النفوذ وزير النساء أن يتزوجها؟ صحيح أن عمل لورا كعارضة أزياء يجذب إليها الاضواء وصحيح أنها تتمتع بجمال خلاب، لكنها لا تعتز بذلك. إن بشرتها الشقراء الفاتحة لا بد أن تكون العامل الفعّال الذي جذب هذا الرجل المحاط فقط بالنساء السمرات لكن هذا السبب ليس كافياً ليتزوجها.

«الزواج اللاتيني لا يمكن فسخه» هكذا قال والدها. انتفضت عندما تذكرت أنها ستفسخ الزواج الذي تعتبره رباطاً مقدساً وذلك بعد أن يخرج والدها من السجن.

تطلعت إلى نفسها في المرأة. بعد ليلة لم تخلد فيها إلى النوم، بدت شاحبة الوجه. فاسرعت إلى الحمام ووضعت بعض المساحيق على وجهها لتخفي شحوب بشرتها.

وعندما سمعت طرقات متواصلة على الباب، ظلت لحظة مستمرة في مكانها، فالكابوس الذي بدأ منذ توقيع والدها ما زال مستمراً، والله وحده يعرف متى ينتهي!

تقدمت بخطى بطيئة وفتحت الباب، وفوجئت بديبغو، الذي كان يرتدي بنطلون جينز ضيقاً وقميصاً بيضاء، يأخذ يدها ويطبع عليها قبلة. وبسرعة تخلصت منه وابتعدت عنه قائلة في لهجة نظة: «هذا النوع من اظهار العاطفة لا يبدو ضرورياً».

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

«ألا تعتبرين أنه من الضروري أن تقبلي مني دليل حبي المتواضع؟»
«من الأفضل أن تدخل».

وعندما أصبحت في غرفة الجلوس الصغيرة المفروشة على الطريقة الاسبانية، التفتت نحوه وقالت:

«قبلت الزواج منك لسبب واحد أنت تعرفه. ولا داعي لأن نتبادل العاطفة التي لا تشعر بها تجاه بعضنا البعض».

«العاطفة ربما لا تشعرين أنت بها يا حبيبتي، لكن ذلك لا ينطبق علي».
يجب ان نحتفل بهذه المناسبة، ألا ترين ذلك ضرورياً؟

«لست في مزاج يؤهلني لأن احتفل بأي شيء ما، يا سينيور، لكن فنجان قهوة يكفي لتهدئة أعصابي».

وبينما كان ديبغو يعد القهوة في المطبخ، خرجت لورا إلى الشرفة وأسندت ظهرها إلى الدرابزين وراحت تراقب برغبة الأزواج اللامبالين الذين يسترخون على الشاطئ، منذ أن وصلت وهي تحلم بأن تعود إلى هنا في شهر العسل بعد أن تتزوج برانت في لوس انجلوس... أين هي من هذا الحلم الآن؟

قالت ببرود وهي تأخذ فنجان القهوة من يد ديبغو بعد أن أصبحت في غرفة الجلوس:

«شكراً».

رفع هو كأسه وقال:

«أتمنى لنا... زواجاً خصباً».

قالت لورا بصوت جليدي:

«دعك من هذه الأوهام. هذا الزواج لن يكون سوى صورياً، ولا تنتظر أن ننجب أولاداً».

وللحظة ظل جامداً ثم أخرج كأسه ووضعها على الطاولة وقال في هدوء وثقة:

«لا، يا حبيبتي. ليس الأمر كذلك. لن يكون بيننا زواج أبيض. لن أنزوج إلا مرة واحدة، وزوجتي ستكون أم أولادي. وستكونين أنت تلك الزوجة، وليس سواك».

سألته في صوت مرتعش:

«لكن لماذا؟ لماذا تصرّ على أن تتزوجني؟ إننا لا نعرف بعضنا بما فيه الكفاية. فكيف يمكننا بالتالي أن نحب بعضنا؟»

فقال في لطف وهو يلامس شعرها الاشقر البراق الذي تركته يتسدل على كتفها:

«لن يكون من الصعب معالجة هذه الأمور في أوانها».

بدأ قلبها يلين أمام كلماته الرقيقة. وأضاف:

«ألم يسبق لك، يا لورا، أن التقيت أحداً للمرة الاولى وشعرت بأنك تعرفينه منذ الأزل وأن مصيركما واحد؟ لقد شعرت بهذا الاحساس الغريب عندما رأيتك في حفلة عرض الازياء. أنت التي كنت أنتظرها منذ زمن من دون أن أعرف ذلك».

أحست لورا وكأنها مخدرة. صوته العذب فعل فعله فيها، وراحت تتطلع الى عينييه السوداوين الجميلتين وفمه المكسيكي. ثم أدركت أنه يأخذ فنجانها من يدها بلطف ويجذبها الى ذراعيه.

هذا العناق الطويل لم تذق طعمه من قبل، كانت يداه تداعبان وجهها وعينيها وكان يمس في اذنيها كلمات الحب الناعمة. في البدء تقلصت لورا، لكنها سرعان ما استرخت. لم يسبق لها أن شعرت بالتفاعل مع الآخرين. واحتلتها رغبة في أن تتخلى عن المقاومة أمام هذا الرجل الذي اختارته. لكن لم تكن هي التي اختارته... استعادت وعيها في الوقت الذي كان ديبغو يرفع رأسه مواصلاً الهمس بكلمات ناعمة. وفجأة دفعته عنها وانكأت الى الحائط وراح قلبها يتبض بسرعة جنونية وعيناها الخضراوان تحدقان فيه في تعبير يتعذر تفسيره.

ثم قالت في صوت لاهث:

«إنني لا أؤمن بهذا الهراء! لماذا؟»

اقترب منها على مهل وقال في صوت مبحوح وهو يداعب خصلة شعرها:

«ومع ذلك شعرت يا حبيبتي بأنني لم أكن في نظرك مجرد عابر سبيل. لقد أحسست تجاهي بالحب والرغبة... وزواجنا ملانم قاماً وسيكون ناجحاً».

ابتعدت لورا عنه. كانت تبدو منظوية على نفسها. قالت:

«في رأيي، هذا الزواج ليس له الا هدف واحد، يا سينيور، وهو أن يؤدي الى تحرير والدي».

«كلما أسرعنا في الزواج كان في وسعي أن أحقق هذا الهدف. وكل ما أستطيع عمله هو أن أفنعمهم بالاسراع في محاكمته. وإذا كان بريئاً...»

صرخت وهي ترمقه بنظرة قاتمة:

«طبعاً هو بري». في حياته كلها لم يقم بأي عمل إجرامي. فكيف يمكنه أن يتواطأ في تجارة المخدرات أو تهريبها؟»

«يبدو أنه لا يقوم بأي عمل ثابت، وليس لديه مهنة معينة؟»

قالت وهي تنظر الى النافذة لتخفي الدموع المتفرقة في عينيها:
«ترك كل شيء بعد وفاة والدتي. كان يريد أن يتعد من كل شيء
يذكره بها».

فصرخ ديبغو:

«بما في ذلك ابنته؟»

«كان مضطراً لأن يضعني في مدرسة داخلية في دير للراهبات. ماذا
يمكن أن يفعل رجل أرمل بابتنة في الثانية عشرة؟ كان من الصعب أن
أرافقه وأتقاسم حياته، على متن سفينة تظل مبحرة».

«طبعاً، لم يكن ذلك مناسباً».

ثم ربت على المقعد الواسع الذي يجلس فيه وقال:

«تعالى واجلسي قربي، يا حبيبتي».

لكنها جلست في مقعد آخر. وسأله:

«متى تظن أنه يمكنك إقناعهم بتحديد موعد المحاكمة».

«الوقت مبكر لمعرفة الجواب. ربما شهر أو شهران...»

«يا ألهي! كل هذه المدة؟»

«اشكري ربك. هناك العشرات ظلوا في السجن سنوات من دون
محاكمة».

«نعم. أعرف. مساء امس أخبرني والذي بذلك. حسناً... لم يبق أمامنا

إلا أن نتزوج في أسرع وقت ممكن».

فقال ديبغو بسخرية:

«هذه العجلة تغمرني فرحاً، ويجب أن تتم حفلة الزواج في مكسيكو.
لدي هناك العديد من الأصدقاء والعلاقات والمعارف الذين قد يحقدون
عليّ اذا لم يتسن لهم حضور العرس. ليس لدي أهل مقربون.
وباستثناء كونسويلو، أرملة أخي، قريبتى الوحيد هي التي تعيش
في المسكن العائلي في كويرنافاكا. إنها طاعنة في السن ولا يمكنها أن
تأتي إلى مكسيكو في هذه المناسبة».

«أليس لديك أب أو أم؟»

أجابها وهو يضغط بشدة على شفتيه:

«كلا. مات والدتي في حادث طائرة وهما عائدان من كانساس. كنت في
الرابعة عشر آنذاك».

فقالت لورا بحنان:

«إنني أسفة».

ألم تمر هي أيضاً بمثل هذه المحنة؟

قال ديبغو وهو يهز كتفيه:

«الشباب يشقون بسرعة من هذه الصدمات. والآن يجب أن نحدد
تاريخ العرس. الزواج المدني يمكن أن يتم خلال اسبوع، يوم الجمعة
المقبل، والزواج الديني في اليوم التالي».

«لماذا كل هذه السرعة؟»

«كمي تجري الامور بصورة أفضل. والى أن يحين هذا الموعد، لا يمكنني
أن أعرض عليك أن تسكني معي في مكسيكو. لذلك سأطلب من

كونسويلو أن تستقبلك في منزلها».

قالت بلهجة جافة:

«أريد... أن أبقى قرب والدي. لماذا لا يمكننا أن نتزوج هنا في أكابولكو؟»

قطب ديبغو حاجبيه وقال:

«إن معظم الشخصيات الكبرى التي أنا بحاجة اليها من أجل قضية والدك كلها في مكسيكو، حيث مراكز أعمالها. لذلك فمن الضروري أن يحضروا العرس».

وضع يده بلطف على يد لورا وقال:

«وتعويضاً لذلك، يمكننا أن نعود الى هنا حالاً بعد انتهاء حفلة العرس ونقضي شهر العسل في فيللا جاسينتتا. وهكذا تتمكنين أن تذهبي لرؤية والدك يومياً».

كان عليها أن تكتفي بهذا الوعد. واقترحت على ديبغو إِمهالها يومين للقيام بشراء الأشياء الضرورية. وقال ديبغو إن كل النفقات ستكون على حسابه، فاضطرت الى قبول ذلك لأن المال القليل الذي تحمله لا يكفي لشراء الملابس الفخمة التي من المفروض أن ترتديها كزوجة السينيور ديبغو راميريز.

٥ - لأنها تشبه الأم

ضغطت لورا بأصابعها المرتجفة على صدغيها كي لا تسمع الاصوات المرتفعة الآتية من قاعة الاستقبال في الطابق الاسفل. كان القماش المطرّ الذي صنع منه فستان العرس يلوي قامتها النحيفة، كما تلوى الريح السنبلة الصغيرة. هبطت في الكرسي الصغير الموضوع أمام منضدة الزينة ذات المرايا المزخرفة، ورأسها ما يزال بين يديها، ثم أسندت مرفقيها إلى المنضدة.

هذه الغرفة الشاسعة بدأت تخفّفها. أثاثها من الخشب الاسود الثقيل، وأبواب الخزائن العالية المزينة بالمرايا، تعكس سريراً عريضاً يقع في إحدى زوايا الغرفة، عليه غطاء من قماش موثى بالذهبي والاحمر الغامق. كل شيء من الطراز الاسباني.

انه ديكور يليق بزوجة مكسيكية للسينيور ديبغوسيزار دافيد راميريز... عندما سمعت هذا الاسم، في المركز البلدي رفعت لورا حاجبها مستغربة، فقال لها ديبغو، إن والدته اميركية الجنسية. نعم هذه الغرفة تليق بعروس مكسيكية. لكنها تبدو غريبة لفتاة اميركية عاشت حياتها في جو بسيط هل نامت والدة ديبغو في

هذا السرير، وهل وضعت فيه ولدها البكر؟

ارتعشت لورا لهذه الفكرة، وشعرت بارتياح عندما شاهدت كونسويلو تدخل الغرفة وتقول:

«أرسلني ديبغو لأطلب منك أن تستعجلي».

بدأت لورا تفك سلسلة الاضرار الصغيرة التي تغلق الفستان عند الظهر. فقد جرى تصميم الفستان لمدة ديبغو منذ ستين سنة، أي قبل اختراع السحابات. وهذه السيدة العجوز التي استقبلت لورا بلطف في المسكن العائلي في كويرنافاكا، ألحّت عليها كي ترتدي هذا الثوب يوم العرس، وقالت لها بانكليزية صحيحة:

«كنت أحلم دائماً بأن ترتدي عروس ديبغو الفستان نفسه الذي ارتديته عندما تزوّجت جده. ما من أحد في العائلة له مقاييس جسمي نفسها سواك».

نظرت كونسويلو في عين حاسدة الى ثوب لورا الحريري الأصفر الموضوع على المقعد وقالت:

«حظّك كبير لأنك تزوجت من رجل ثري».

فضّلت لورا ألا ترد. كانت تعلق فستانها في الخزانة وتستعدّ لارتداء ثوبها الأصفر، وهي لا تشعر بأي خجل من خلع ملابسها أمام النساء، فقد تعودت ذلك كعارضة أزياء. وكانت كونسويلو تتأمل في عين ناقدة قامة الفتاة المشوقة والنحيفة:

«لست ادري كيف انجذب ديبغو الى امرأة نحيفة مثلك. إنّ صديقاته كلّهن نساء جميلات ذوات أجسام مليئة».

قالت لورا، وهي تبكّل زنار تنورتها:

«صحيح! ولكن لماذا لم يقع اختياره على واحدة منهم؟»

«كان دائماً متمسكاً بفكرة واحدة وهي أن يأتي بأمرأة تحمل مكان والدته التي توفيت عندما كان صغيراً. إنه لا يزال أسير هذه الذكرى».

انتفضت لورا قلقاً. قفزت الى ذهنها صورة تلك المرأة الشقراء الجميلة المعلقة في الجدار بين عدد من اللوحات تمثل رجالاً ونساء كلّهم سمر. صحيح أنّ هناك بعض الشبه بينهما، لكن ذلك لا يؤكد أنّ ديبغو إنما اختارها لهذا السبب.

قالت لورا:

«كل ما تقولينه أوهام».

فأجابت كونسويلو:

«لا. لست مخطئة. وإذا كان ما أقوله غير صحيح، فلماذا لم يخترنني أنا؟ إنّ تقاليد بلادنا تقضي بأن يتزوج الرجل أرملة أخيه».

«تلك هي إذاً المشكلة». فكّرت لورا وهي تجلس وراء منضدة الزينة. كانت كونسويلو تأمل في أن يتزوجها ديبغو بعد انتهاء فترة الحداد، لكن بدل أن يفعل ذلك، اختار امرأة غريبة... إنها غلطة لا تغتفر. لو كان بإمكان لورا أن تقول لها أنّ زواجها هذا لن يدوم، فقط لأن يخرج والدها من السجن بعد إعلان براءته. في كل حال، ألم يفرض ديبغو عليها قبول الزواج، هي التي كانت ترفض تلك الفكرة بقوة؟

قالت لورا:

«كان عليك أن تكلمني ديبغو بالأمر».

«أن تكلمني عن ماذا؟»

كان صوت ديبغو منبعثاً من عتبة الغرفة.

التفت لورا نحوه، فاقترب منها وهو لا يزال يرتدي بذلة العرس الغامقة. وقد وضع على القبة قرنفلة حمراء. وبرغم قرار لورا اعتبار هذا الزواج بمثابة اتحاد عابر، سببه الوضع المؤسف الذي يعيشه والدها في السجن، فإنها لم تستطع أن تلجم انفعالها عندما سمعت في الكنيسة كلمات الحب والاخلاص تتدفق من فم ديبغو، وتمتت لو أن هذا الزواج كان أكثر من صورة ساخرة كنيية.

وبعد خروجها من الكنيسة، وسط أصدقاء ديبغو الذين ملأتهم الدهشة والفرح، توجهت إلى المسكن العائلي، حيث كانت قاعات الاستقبال الواسعة تزدهم بمئات المدعوين من الشخصيات ورجال الأعمال، الذين حرصوا على تقييم العروس برغم نظرات زوجاتهم الحاققة، بينما رمت بعض السيدات لورا بنظراتهن اللاذعة الحبيشة. وجه ديبغو بعض الكلمات باللغة الأسبانية إلى أرملة أخيه التي هزت كتفيها وخرجت من الغرفة بعدما صفقت الباب وراءها بحدة.

التقت عينا المكسيكي اللاهيتين بعيني لورا في المرأة وقال: «ها نحن أخيراً وحيدان يا زوجتي. لقد تحملت بعذاب كل هؤلاء الرجال الذين كانوا يحبونك، ولم تخطر ببالى إلا فكرة واحدة، هي أن أخطئك من بين المدعوين وأذهب بك إلى فيللا جاسيتنا بأسرع ما يمكن». عانق لورا التي شعرت برعشة صغيرة، فهست وهي تلتفت إليه:

«أرجوك...»

لكنه لم يسمع. بل راح يعانقها بحنان. فما جعلها تشعر بأحاسيس بالغة. همس في أذنيها قائلاً:

«أه لو تعرفين كم أحبك! هل يجب أن تنتظر حتى نصل إلى فيللا جاسيتنا؟ هل تريد أن أطلب من المدعوين الانصراف، ليتسنى لنا أن نكون وحيدين؟»

المدعوون يزدحمون في قاعات الاستقبال في الطابق الأسفل. أمام هذا المنظر استعادت لورا وعيها فتخلّصت فجأة من عناق ديبغو وراحت ترتب نفسها، ثم همست في صوت مخنوق:

«هل نسيت أن هذا الزواج هو مجرد زواج أبيض؟»

وبقوة تمسك بكتفيها وحذق في أعماق عينيها وقال:

«سبق لي يا حبيبتي أن قلت لك أن الزواج لن يفسخ. ومن هذا الزواج، ومن هذا الحب سيكون لنا أولاد». «لا».

وضع يده على صدر زوجته حيث كان قلبها ينبض بسرعة جنونية ثم همس قائلاً:

«كيف تقولين شيئاً كهذا؟ إنك ترغبين في هذا الاتحاد وأنا كذلك. إنني أعرف ذلك تماماً. ألا تشعرين بأن قلبنا يتفعلان في انسجام وتناغم؟» هذا الكلام الهائم جعلها ترتعش في خوف غامض. أية امرأة لا تتأثر بكلمات الحنان والغزل من فم رجل جذاب له خبرة واسعة في استمالة النساء؟

قالت في عناد وتصلب بالرأي وهي تتوجه إلى منضدة الزينة وتسرح شعرها:

«لا شك أنك تهذي، يا سينيور. أنت تعرف جيداً سبب زواجنا. وهذا الزواج لا دخل له بإنجاب الأولاد من أجل استمرار عائلة راميريز عندما يخرج والدي من السجن، فإنني...»
توقفت وعضت على شفتيها فساها ديبغو في لطف:
«ماذا ستفعلين يا حبيبتي؟»

أمسكها من معصمها وأدارها نحوه واكمل:
«هل تعتقدين أنني بعدما أقسمت بأن أكون مخلصاً أمام اصدقائي والشهود. سأرضى بأن تطرديني، عندما لا تعودين بحاجة إليّ. لأصبح أضحوكة الجميع؟ لا يا لورا، لقد أصبحت زوجتي، وسوف تبقى زوجتي، وإنني أتعهد بذلك.»

ارتعشت لورا حين لمحت نظرتة المصممة. يبدو أن تهديده ليس مجرد كلام. إنه ينوي الذهاب في الزواج حتى النهاية، وسيصر على أن يكون له أولاد، مما يؤدي الى استحالة فسخ الزواج. نعم، لكن... نحن في القرن العشرين... بأولاد أو من دون أولاد، كل شيء ممكن حتى الطلاق...

وبعد أن وضعت أحمر الشفاه، تناولت حقيبة يدها وقالت وهي تبتسم:

«إنني جاهزة.»

«إذاً، هيا بنا. حقائبنا أصبحت في السيارة.»

«ألا تريد أن تبدل ثيابك؟»

ابتسم وقال:

«الخدم في فيللا جاسينتتا لم يحضروا العرس. وسيفرحون إذا

شاهدوني في ثياب العرس.»

وبطرف أصابعه، راح يداعب خدها:

«كما أنني أريد أن يفهم كل الذين سنلتقيهم في طريقنا أن هذه العروس الجميلة هي ملكي.»

ثم أضاف وهو ينظر إلى لورا:

«أرجوك، من أجل والدك، أن تبدلي كل ما في وسعك كي تظهرني أمام الجميع أنك الزوجة المحبة.»

صمت المدعوون المتجمعون في المدخل الواسع حول سبيل ماء لمدة لحظات لدى رؤية العروسين يهبطان السلم، ثم تجمعوا حولهما ووجهوا إليهما التهاني والتمنيات.

وعندما أصبحا في السيارة المزينة بالورد، ألقع ديبغو بسرعة. وبعد قليل سلك الطريق المؤدية الى أكابولكو. ومن وقت الى آخر كان يرد بإشارة من يده على تحيات السائقين او الفلاحين الذين لاحظوا بذلة العرس. ولم يتبادل مع لورا إلا بعض التعليقات العابرة في شأن الأماكن التي مروا فيها.

كانت لورا المتكئة باسترخاء على المقعد المريح، تحلم في البقطة. يا لسخرية القدر، فقد تزوجت من رجل كانت تريد أن تعتبره الرجل المناسب، لولا الظروف الحاضرة. إنه متدين مثلاً، وهذا في رأيها أمر أساسي. كما أن ديبغو يتمتع بجمال وجاذبية وثراء وشهرة.

أخففت عينيها على الزمردة المحاطة بحبات الماس الرائعة، التي يتألف منها خاتم الزواج الموضوع في إصبع يدها اليسرى قرب المحبس الذهبي. ديبغو بنفسه وضعه في اصبعها بعدما أجبرها على

خلع خاتم الخطبة الذي أهداها إياه برانت. وقد بعثت الى خطيبها برسالة موسعة تطلب منه أن يسامحها على تغيير رأيها. ولم يتسنى له الوقت للرد عليها. هل سيتسنى له القراءة بين السطور ليدرك أن لورا ما تزال تحبه؟
سألها ديبغو فجأة:
«ماذا تفكرين؟»

انتفضت لكنها ردت عليه بصراحة:
«أفكر ببرانت، خطيبتي».

قطب ديبغو حاجبيه وقال:

«لم يعد لك خطيب يا لورا. لديك زوج مصمم على أن يجعل منك في القريب العاجل زوجته بكل ما في الكلمة من معنى... ثم هذا الذي يدعى برانت، أما كان فعل مثلها سأفعل أنا هذه الليلة، لو كان مكاني؟»

أجابته وهي تحاول أن تخفي انفعالها:
«ليس إذا طلبت منه ألا يفعل».

«هذا ما كنت أظن. في عروقه تسري دماء باردة».

صرخت بعنف وحنة:

«أنت مخطيء! إنه يتمتع برجولة مثلك. إنما هو انسان متمن... ولطيف وأقل تطلياً منك».

«أمثال هؤلاء الرجال يطبعهم البارد، يجعلون الدنيا مهجورة من البشر، يا لورا المسكينة! هل تعتقدين أن الغزاة الاسبان كانوا يضيعون وقتهم عندما يغالزون النساء. لا. عندما كانت تعجبهم المرأة التي

يلتقونها، كانوا يتزوجونها وما من مرة شكت هذه النسوة من شيء».

سألته لورا في مرارة:

«وهل يسمعون شكواهن؟»

«ربما لا. إنني اعترف بذلك. لكن القليلات هن اللواتي حاولن التخلص من هذا القدر. ومعظمهن أسسن عائلات مثل عائلتي، وأعطين اولادهن العطف والحنان والمحبة التي نالوها من ازواجهن. لا شك في أنهم نساء رائعات عرفن أن يتقبلن مصيرهن».

فقالت لورا بسخرية:

«لم يكن أمامهن خيار آخر».

وصلا الى مداخل أكابولكو. ولما رأت الشاطئ الرملي الذي تحده أشجار النخيل وجوز الهند، فكرت لورا بانفعال أنها ستري والدها عما قريب.

المر الطويل المتعرج الذي يؤدي الى فيللا جاسيتا لم يكن قد قطعته لورا من قبل. المرة الوحيدة التي جاءت فيها مع ديبغو الى هنا كانت عن طريق البحر على متن يخته. ظهرت الفيلا من بعيد: جدرانها بيضاء وقرميدها زهري وهي مبنية على قمة تلة صخرية، تحيط بها الأزهار من كل الجهات: على الشرفة الواسعة وجهتي السلالم العالية، والجدران الصغيرة، والمرتفعات المشجرة... إنها فيض من الالوان الزاهية والروائح العطرة.

وما أن توقفت السيارة أمام الفيلا، حتى انفتح الباب بمصراغيه الكهربين. وظهرت جوانيتا الخادمة المسؤولة. وراءها زوجها كارلوس المسؤول الاول في الفيلا.

أسرعت جوانيتا بوجهها الاسمر الضاحك لاستقبال العروسين،
فرحة برؤية سيدها في بذلة العرس والقرنفلة الحمراء. قبلها ديبغو
على خديها وصافح من في المنزل وطلب من جوانيتا أن تحضر
الشراب المنعش الى غرفة الجلوس.

أخذها الى الصالون الصغير الذي تطل شرفته على البحر. المنظر
رائع، فتوجهت لورا الى الشرفة لتمتع نظرها بهذا المنظر الخلاب.
الامواج تنكسر على الصخور والرغوة البيضاء ترتفع أحياناً بعلو
المنزل. ومن جهة أخرى يبدو الشاطئ الرملي تحميهِ سلسلة صخور
تحيط بعرض الشاطئ.

قالت لورا لنفسها: «على الأقل، هنا، يمكنني أن اسبح بصورة
دائمة».

ظهر ديبغو فجأة وقال كأنه قرأ أفكارها:

«من الأفضل ألا تسبحي إلا على الجهة الجنوبية من الشاطئ».
فالشاطئ الشمالي مليء بالتيارات الخطرة. وأفضل شيء هو الاكتفاء
بالسباحة في البركة».

فكرت لورا: «أليس جريمة أن يسبح المرء في البركة عندما يكون
البحر على خطى قريبة منه؟ شاطئ تحده أشجار النخيل وجوز الهند
المليئة بالثمار الناضجة».

شعرت بيد ديبغو تلمس عنقها بينما ترفع يده الاخرى ذقنها
وسأها:

«هل تعتقدين حقاً أن السباحة هي التسلية الوحيدة التي تجدينها في
فيلا جاسينتا يا حبيبتي؟ أود أن أقدم لك أكثر... وأفضل...»

وبحركة عنيفة، تخلصت لورا من قبضته وقالت:
«أراك واثقاً من نفسك!»

أجابها بصوت خفيض:

«نعم. إنني واثق من قدرتي على إسعاد زوجتي. وعندما أضمتك بين
ذراعي، الليلة، أعدك بأنك ستسعين برانت نهائياً».

فقالت وهي تدير نظرها عنه وتحذق في الخليج:

«كيف تجرؤ على التحدث بهذه الصورة، أنت تعرف جيداً أن هذا
الزواج ليس سوى نفاق ورياء! يا إلهي سامعني لأنني ارتكبت صباح
هذا اليوم خطيئة مميتة، فقط لانفاذ حياة والدي، فقد أقسمت بأن
اخلص لرجل لا أحبه. أرجوك ألا تجعلني أضاعف خطأي إلى... إلى...»
جذبها ديبغو نحوه بقوة وقال:

«تقولين إنك لا تحبينني! إنني أشعر كلما عانقتك بأن هناك تجاوباً لديك.
ومن يقول إنك لن تتوصلي الى حبي متى أصبحنا زوجين بالفعل؟»
فجأة خفف من حدة صوته ونظر اليها بلطف وقال:

«إنني أسف يا حبيبتي. إن تخوفك في محله. وهذا شيء طبيعي. الا
يمكنك أن تثقي بي. إنني قادر على أن أكون لطيفاً معك».

ظهرت جوانيتا حاملة صينية:

«شكراً جوانيتا».

ثم أضاف بعض الكلمات الاسبانية طالباً من الخادمة أن تفرغ
حائلب السيدة.

ولما خرجت جوانيتا من قاعة الاستقبال التفت ديبغو نحو
زوجته وسأها:

«هل يمكنني أن أطلب منك أن تتصرفي كسيدة المنزل، يا لورا؟»
وبعد تردد قصير، هزت لورا كتفيها واتجهت نحو الطاولة التي
وضعت عليها الصينية. كانت تشعر بالتعب وبالعطش بعد المسافة
الطويلة التي قطعتها في هذا الحر اللاهب، فلم تشعر برغبة في التحدث
مع الرجل الذي بدأت تخشاه. عليها أن تحافظ على نشاطها وحماسها
وطاقتها لأنها ستكون في حاجة إليها في المساء لتبقيه بعيداً عنها. ومع
ذلك فهي تعترف أن شغف ديبغو بها وولعه وشوقه، إضافة إلى
الديكور الروماني المحيط بهما، كلها توقظ فيها رغبتها.
ومن حسن حظها، فقد أدرك ديبغو أنه من الأفضل تغيير
الموضوع. فبدأ يتحدث بمرح وطلاقة عن أشياء كثيرة وفي الوقت نفسه
كان يحتمي الشاي ويأكل السندويشات الصغيرة والحلوى بالكراما
التي أحضرتها جوانيتا.
«هل تعرفين، يا لورا، أن هذه الفيلا تحمل اسم جدتي؟»
«لا. لم اكن أعرف أن جدتك تدعى جاسينتا».
«عندما بنى والدي هذا المنزل، أعطاه اسم والدته...»
سألته في صوت ساخر:
«ولماذا لم يعطه اسم زوجته؟»
غامت نظرات ديبغو بتعبير حزين فقال:
«لم توافق جدتي على زواجهما. في الحقيقة يمكن القول إن والدتي لم
تستطع التجاوب مع تقاليد البلاد...»
«وما هو اسم والدتك؟»
«لورا. لورا دايفيس».

كانها تلقت حماماً مثلياً. هل كانت كونسويلو على حق عندما
قالت إن ديبغو لم يتزوجها إلا لأنها تشبه والدته؟ حتى أنها تحملان
الاسم نفسه...
سألها ديبغو بلطف عندما رآها تنتفض:
«ماذا جرى، يا حبيبتي، تبدين كأنك تخشين حكم جدتي... لكن هل
تعتقدين أنها استقبلتك بالحرارة وهذا الحب وأعارتك فستان عرسها، لو
لم تعتبرك الزوجة التي أحلم بها؟»
وضعت لورا فنجان الشاي على الطاولة وقالت ببرود:
«لا يهمني كثيراً ما إذا كانت جدتك تقبلني أم لا».
إنها كذبة واضحة. في الحقيقة، أحببت لورا كثيراً هذه المرأة
العجوز التي تتمتع ببعض الاستبداد والجمال، والتي لا تخفي حبها
الكبير لحفيدها الوحيد.
أضافت وهي تنهض دفعة واحدة:
«هل يمكنني الآن أن أتوجه إلى غرفتي؟»
«سأوصلك إلى جناحنا. إن جوانيتا تعد لنا عشاء بسيطاً وخفيفاً.
لكننا لن نتناوله قبل الثامنة والنصف وأمانا الكثير من الوقت حتى
ذلك الحين».
تساءلت لورا بعصبية وهي تتبعه في البهو، ثم في الممر:
«أمانا الوقت كي نفعل ماذا؟ هل سيحاول تنفيذ ما يجول في خاطره؟»
فتح ديبغو باب شقتها الفاخرة المستقلة قاماً عن المنزل. وفي
رواق صغير تطلّ غرفة نوم شاسعة مزينة ومفروشة في ذوق مترف
ولطيف. الابواب الزجاجية تفتح على شرفة مزهرة تطلّ على قسم من

الشاطيء. وفي وسط الغرفة سرير عريض.

التفت لورا الى ديفغو وقالت:

«بما أنّ العشاء يتأخر، فإني أودّ أن أذهب لزيارة والدي قبل...»

«كلا يا حبيبتي، هذا لا يمكن تحقيقه اليوم».

فقالت لورا بغضب:

«لكن لماذا؟ لقد اتفقنا على...»

قاطعها بحدة:

«لقد اتفقنا على أن تتزوجيني ليكون لي سبب وجيه يمكنني من مساعدة والدك على أن يمثل أمام المحكمة بأسرع وقت ممكن. لقد وعدتك بأن أفعل ذلك. وسأحقق هذا الوعد».

«واتفقنا أيضاً على رؤية والدي».

فقال بهدوء:

«نعم سأتيح لك ذلك. لكن كثيرين سيفاجأون بأن ترغب زوجتي في الابتعاد عني ليلة العرس... والدك أيضاً قد يستغرب ذلك...»

«لماذا؟ إنه يعرف أن...»

توقفت لورا عن متابعة الكلام وعضت على شفتيها. صحيح... لا

يعرف والدها أنّ هذا الزواج ليس زواج حب...

«إن والدك يعرف فقط أنني أحب ابنته أكثر من أية امرأة أخرى، وأنّ سعادتها هي أقصى ما أتمناه».

أكثر من أي امرأة أخرى. إنه ينسى والدته... تضايقت لورا

فجأة، وتوجّهت نحو النافذة وأسندت جبينها الملتهب إليها وراحت تتأمل الامواج تتكسر على الصخور. لماذا رفض ديفغو أن يسمح لها

برؤية والدها الآن؟ هل يخاف أقاويل الخدم، أو أنه يصّر على أن يملكها

قبل أن يتسنى لها الهرب؟

قالت في جفاف:

«بما أنه لا مجال لرؤية والدي الآن فاني أفضل أن أستريح».

وفوجئت بقبول ديفغو عرضها:

«كما تريدن، يا حبيبتي. سأتي لأخذك الى العشاء في الثامنة.

استريحى جيداً».

وبعدما أغلق الباب وراءه، خلعت لورا حذاءها العالي. وشعرت

بألم في رأسها فتناولت حبتى مسكن من حقيبتها وتوجهت الى الحمام.

كان الحمام مقسماً الى جزئين. الاول يحتوي على مغسلة كبيرة

وحنفية مذهبة، وطاولة زينة كبيرة تضم عدداً كبيراً من الأدراج، تعلوها

المرايا المرتفعة حتى السقف. أما الجزء الثاني فقد ذكرها بالحمامات

الرومانية. فهو مؤلف من حوض رخامي أخضر في وسطه نافورة ماء،

تحيط بها أحواض مزروعة بأشجار النخيل. وما أن تناولت حبتى

المسكن حتى عادت الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها.

فتحت باب الخزانة الواسعة ووجدت في جهة كل ملابسها معلقة

بإتقان، وفي الجهة الثانية كانت ملابس ديفغو. يا الهي. يجب أن تقنع

نفسها أنه الآن زوجها وأنه يحق له أن يضع ملابسه مع ملابسها.

وبحركة غاضبة تناولت قميص نوم من الساتان الأبيض وهرعت إلى

الحمام. حتى الماء الناعمة التي وضعت فيها الاملاح ذات العطور

المختلفة لم تساهم في استرخاء عضلاتها بصورة كاملة. كان عقلها

يعمل باستمرار وتبحث من دون جدوى عن طريقة تجعل ديفغو

يتراجع عن تصميمه.

بإمكانها أن تهرب من المنزل وتستقل سيارة ديبغو، وتذهب إلى أكابولكو. لكن ذلك لن يخدم قضيتها ولن يعيد الحرية إلى والدها. لا يمكنها الاستغناء عن مساعدة ديبغو. إنها في حلقة مفرغة.

خرجت من المقطس ولقت جسدها بمنزلة الحمام. ثم راحت تحيِّف جسمها وارتدت قميص النوم، ربما توصلت إلى اقناع زوجها، بأن رجلاً يحترم نفسه لا يمكنه أن يحقق لنفسه أية متعة ضد إرادتها.

تمدّت فوق الغطاء الحريري المعرق الذي يلف السرير.

ماذا تفعل كي تجعل ديبغو بعيداً عنها. راحت تقارن وضعها بوضع شهرزاد التي نجحت في النجاة من الموت المحتم طوال ألف ليلة وليلة، لأنها راحت تروي لشهريار القصص المشوقة التي لا نهاية لها...

ولكن هل ستتمكن بهذه السهولة من أن تحوّل ديبغو عن الهدف الذي صمّم على تحقيقه؟

٦ - الهمة الحاسمة

عندما استيقظت لورا كان الظلام قد ملأ الغرفة. وللحظات لم تتذكر أين هي، ولا لماذا هي هنا. لكنها عندما سمعت صوت الباب استعادت ذاكرتها بسرعة.

بدأ قلبها ينبض بسرعة جنونية، عندما رأت ديبغو، في بذلة المساء البيضاء، يتقدم بخطوات واسعة نحو السرير. نظر إليها بدقة وتهلّل وجهه عندما شاهد قميص نومها نصف المفتوح.

حاولت لورا إقفال القميص، لكنه أبعد يدها، وجلس قريباً ووضع رأسه على صدرها. وبصورة غريزية، وضعت يدها على شعره الأسود مستمتعة بهذه المداعبة.

همس ديبغو بصوت مبحوح:

«أنت رائعة الجمال يا حبيبتي».

وعندما شعرت بجسمه يقترب منها، استعادت وعيها. ماذا تفعل بين ذراعي هذا الرجل الذي تسخر منه، والذي استفاد من نعاسها ليفاجئها؟

ألحّت بصوت مخنوق:

«أرجوك. ابتعد عني».

وبحركة مفاجئة توصلت الى إبعاده عنها.

«لن تسامحنا جوانيتا، إذا لم تذوق الطعام الذي أحضرته خصيصاً لنا».

لم تجرؤ لورا على أن تنظر الى زوجها. فسكتت. أخيراً قال ديبغو في لهجة ساخرة:

«أه، سوف تفهم، إنني متأكد أنها تفهم».

«لكن ربما كنت على حق وسوف ننتظر... ربما هذا أفضل...»

ألقى نظرة سريعة الى ساعة يده الذهبية، ثم قال:

«إذا أسرعت بارتداء ملابسك، فلن تتأخري عن العشاء». سأختار ما تريد منه».

ابتعد باتجاه الخزانة وعاد حاملاً فستاناً طويلاً من القطن الابيض

المقطع بالرسوم الهندسية. وقال لها وهو يضعه على طرف السرير:

«لديك تشكيلة جميلة من الملابس الرائعة يا حبيبتي، لكنني سأشتري

لك الكثير أيضاً مما يصدر عن دور الازياء الباريسية. وسوف أشتري

لك الحللي و...»

قاطعته لورا بسرعة:

«الثياب والحلي لا تهمني. إن الشيء الوحيد الذي أرغب فيه هو حرية

والدي».

«أنت تعرفين جيداً أنني سأفعل كل جهدي لأحصل عليها. هل تشكين

في كلامي؟»

«سأصدقك بسهولة إذا وعدت بآلاً تلمسني وآلاً تمارس حقوقك كزوج

قبل خروج والدي من السجن».

فقال في تقلص:

«لكن هذا يمكن أن يدوم أسابيع، وربما شهوراً! هل تظنين انني من

حجر؟ هل تظنين بإمكانني النوم قرب زوجتي كاللوح؟ لا هذا غير

وارد... وليس صحيحاً سواء بالنسبة إلى أو بالنسبة إليك».

ارتجفت عينا لورا. أحست بأنها كانت تتجاوب مع مداعبته لها.

كيف وصلت الى حد أن تكشف عواطفها؟

قالت بوضوح:

«لن تكون ثمة مشكلة إذا لم نتقاسم السرير نفسه».

انتفضت عندما رأت ديبغو، الغاضب، يمسك بمعصمها ويضغط

عليه بقوة ويقول:

«لا تتعلقي بالأوهام، يا لورا، قبل نهاية الليل، برضاك أو بالقوة،

ستصبحين زوجتي. والآن أسرع. أنتظرك في قاعة الاستقبال

الصغيرة».

نظرت اليه بغضب وهو يعبر عتبة الغرفة ويغلق الباب وراءه. من

يكون هذا الرجل ليشتهي امرأة ترفضه؟ هل تسليه مقاومتها له وتثيره،

بدل أن تبرد أعصابه؟

إذا كان ذلك صحيحاً، فستخيب لورا آماله! وعدت نفسها بأن

تتصرف بين ذراعيه مثل عجيئة رخوة، من دون انفعال. لن تقاومه

ولن تشجعه أيضاً. ربما تأمل بأن تمنعه كبرياؤه في مثل هذه الظروف

من أن يرغبها على إطااعته.

بعد هذا القرار شعرت لورا بارتياح. ارتدت الفستان الذي اختاره

لها ديبغو ووضعت الزينة والعطور وتوجهت الى غرفة الاستقبال.
كان ديبغو مديراً ظهره يحدق في عتمة الليل. رأى انعكاس
لورا من خلال زجاج النافذة، فاستدار مسحوراً أمام زوجته الرائعة
في فستانها الأبيض. ولما رأت نظراته، ندمت لأنها لم ترتد فستاناً عادياً
اقترب منها بسرعة، ورفع يدها وراح يقبلها وهمس:
«صحيح أن الجواهر لن تزيد من جمالك، يا حبيبتي».
لكنها أفلتت منه بلطف وجلست في كنية مريحة. وسألته متجاهلة
نظراته المهانة.

«هل يمكنكني أن أشرب شيئاً؟»
سكب لها ديبغو عصير البلح المثلج وسكب لنفسه كوب ماء
بالليمون ثم قال بلهجة احتفالية يتخللها القليل من السخرية:
«أرفع كأسى لصحتنا».
ولما لاحظ أن لورا لم تسمع ما قاله أفرغ كأسه وجلس في مقعد
آخر، وقال بجفاف:

«لم يسبق أن فرضت على امرأة شيئاً أريده».
كانت لورا تدرك أنه تعرّف الى عدد كبير من النساء في حياته.
هذا طبيعي لرجل مثله، يتحلّى بمركز رفيع في المجتمع، إضافة الى
جاذبيته ورجولته.

شربت العصير وسألته بصوت متردد:
«الشخص، أقصد الأشخاص الذين ستتصل بهم بخصوص والدي،
هل بإمكانهم أن يعجلوا في تحديد موعد المحاكمة؟»
«لم أفعل شيئاً حتى الآن».

«لكنك وعدت...»

«لقد وعدت بأن أحدثهم عن والدك. ويوم عرسى ليس بالظرف المناسب
وأنت تعرفين ذلك جيداً. سأفعل خلال اسبوع أو أسبوعين...»
«اسبوع أو أسبوعين، وخلال هذا الوقت، يبقى والدي في السجن. أتعهد
ذلك طبيعياً؟»

«يجب ألا نبالغ في الأمر. إن والدك في أيد أمينة. وهو الآن يتناول عشاءً
فاخراً. لا ينقصه أي شيء. ولا حتى الرفقة النسائية إذا كان هذا ما
يرغبه».

احمرت لورا خجلاً وقالت:

«كيف تجرؤ أن تقول... هذا... عن أبي...»

«إن والدك رجل مثل بقية الرجال، أليس كذلك؟»

بعدما طرقت الباب دخلت جوانيتا، مضطربة ومعتذرة عن
تأخرها.

فقال ديبغو بلطف:

«هذا غير مهم، يا جوانيتا، لم تنته السينيورا من كأسها بعد».

«شكراً، سينيور. العشاء حاضر».

وبعدما خرجت الخادمة وأغلقت الباب وراءها، نهض ديبغو
وقال:

«لو سمحت أن تنهي عصيرك يا حبيبتي، كي نذهب الى العشاء. لقد
أمضت جوانيتا ساعات تعد الطعام. ولا داعي لأن ندعها تنتظرنا
أكثر».

فكانت لورا وهي تفرغ كأسها:

«ليس في نيتي ازعاج جوانيتا، أبداً».

قالت لورا لنفسها: «إن ديبغو يحترم موظفيه ويحرص على راحتهم، بينما رغباتها هي تبدو آخر اهتماماته. يا لسخرية القدر!»
قال وهو يتأبط ذراعها:

«لورا، اسمعي جيداً. لا أريد أن تعرف جوانيتا إننا لم نتزوج عن حب. فهي تنتظر هذا اليوم منذ زمن...»

أجابت لورا بقسوة وهي تفلت من قبضته:
«تبدأ لجوانيتا وللجميع في كل حال، ليست جوانيتا من يضطر إلى مقاسمتك سر يرك ومائدتك.»

تقدّمت أمامه في خطى أكيدة، لكنها توقفت في منتصف الممر، ضائعة أمام العدد الهائل من الابواب لا تعرف أي منها تختار. ومن دون كلمة، لحق بها ديبغو ثم أدخلها إلى قاعة الطعام المتصلة بالدار الكبير بباب ذي مصراعين. غرفة الطعام بسيطة، لا تشبه في شيء غرفة الطعام الواسعة بقصره في مكسيكو.

فكرت لورا وهي تتأمل الطاولة الممدودة في دقة وفن: «يا لها من ورطة». إن أي فتاة في العالم تحلم بمثل هذا الديكور ليلة عرسها، برفقة زوج جذاب مثله! لماذا اختار هذا الرجل المتعجرف، الجذاب الذي يستطيع أن يملك كل النساء، اختارها هي بالذات؟

ظهرت جوانيتا حاملة الوجبة الأولى المؤلفة من اللوبيا المتبلّة بالحشائش العطرية والجبن والصالصة الحامضة. إنه حساء شعبي أعجيبها طعمه، لكنها لم تكن قادرة على احتساء إلا القليل منه لأنه حار. الوجبة الثانية كانت مؤلفة من لحم الاوز المطبوخ. أكلت بعضاً منها. ولم يكف ديبغو من النظر إليها بشكل مبهم. كان يلعب مع

طريدته لعبة الهر والفأر...

ولما مدّت يدها لتذوق العنب الهندي سألها ديبغو فجأة:

«منذ متى عقدت خطبتك على هذا الأميركي؟»

فقالت متعجبة:

«برانت؟»

أجاب بخسونة:

«هل كان هناك الكثير قبله؟»

«كلا. هو فقط إنه الرجل الاول الذي تعرفت اليه منذ خروجي من الدير. كنت أسمع دائماً أخبار صديقاتي، يتحدثن بفرح عن أصدقائهن الرجال. الذين تعرفن اليهم خلال العطلة الصيفية. أما أنا فكنت أمضي عطلتي على متن سفينة والدي وهذا كان يكفيني حقاً.»

«إلى أن دخل برانت في حياتك، أليس كذلك؟»

«نعم. إنه يملك كل ما ترغب أي امرأة أن تحبه في الرجل.»

وعندما رأت وجه ديبغو يتجههم أضافت:

«إنه شاب حسن المظهر، ساحر. تحبه الفتيات. وقد جسدتني العديداً عليه.»

أنهت كلمتها بصوت مخنوق. وتذكّرت بدقة غريبة، السبب الذي دفعها إلى قبول الزواج من الأميركي برانت.

ذات مرة عاداً باكراً من عطلة نهاية الأسبوع، أمضيها لورا و برانت في منزل والديه. وبرغم استقبالها الحميم لها، والحاح برانت بالذات، كانت لورا مترددة في أن تعدّه بالزواج. صحيح أن المحامي الشاب يتمتع بمزايا عديدة، لكنها كانت تشعر بأنه جدي

أكثر من اللازم. نادراً ما كان يعانقها أو يداعبها. لم يكن قادراً على أن ينسى لحظة، إن لورا تلقت تربيته على أيدي الراهبات. ومع ذلك، وفي ذلك اليوم بالذات، اتخذت قراراً نهائياً بأن تتزوجه، بعدما رأت والدها يعانق فتاة سمراء على سطح السفينة ببرسارة التي كانت تتوجه نحوها برفقة برانت. ومن دون تردد، التفت لورا برفيقها واقترحت عليه أن يعودا من حيث أتيا، أو بالأحرى إلى مطعم قريب لشرب القهوة. لم تكن تريد أن ترى والدها في هذه الحالة. وفهمت حينئذ أنه لم يعد لها مكان في حياة والدها. صحيح أن برانت فوجئ بقرارها، لكنه لم يظهر استغرابه. فهو يتمتع بأعصاب هادئة إلى درجة الغيظ. قال ديبغو بصراحة قاسية: «لا شك أن إحدى الفتيات التي كانت تغار منك، ستكون مسرورة جداً لأن تستعيد حبيبك القديم». أخفضت لورا عينيها. حزن قلبها أمام فكرة أن برانت يغازل امرأة أخرى. نهضت وقالت متثابرة في الوقت الذي دخلت فيه جوانيتا حاملة صينية القهوة. «إني مرهقة وأريد... أن أذهب إلى غرفتي». نهض ديبغو في الحال ووضع ذراعه حول كتف لورا وقال للخدمة: «إن السينيور متعبة بعد هذا النهار الطويل. لن نتناول القهوة». ابتسمت جوانيتا وقالت:

«نعم سينيور. ليلة سعيدة». ولما وصلت إلى غرفتها، حاولت لورا إغلاق الباب على ديبغو، لكنها لم تنجح. توجهت إلى منضدة الزينة وخلعت حلقها الماسية ووضعتها في علبة الجواهر. ثم قالت بجفاف: «في منزل شاسع كهذا، لا شك أن غرف النوم عديدة». فقال بهدوء: «نعم. لكنني قررت أن أتقاسم هذه الغرفة مع زوجتي». صرخت لورا: «أنا لست زوجتك». قال وهو يرفع يدها اليسرى ويتأمل محبسها الذي وضعه في إصبعها في الصباح: «لكن، يا حبيبتى، هذا هو الدليل...» فقالت وهي تسحب يدها: «كل هذا مسرحية مخزنة وأنت تعرف ذلك جيداً. كيف أستطيع التعبير عن محبتي لرجل لا أعرفه؟ فكيف إذا كنت لا أحبه!» لمع وجه ديبغو وقال بصوت مداعب: «غالباً ما يأتي الحب بعد الزواج يا حبيبتى... إن الزوج الحنون والمهتم يعرف كيف يجلب الحب إلى قلب زوجته...» فقالت وهي تدير له ظهرها: «صحيح أنني ترعرعت في دير. لكنني نشأت في بلد حر حيث النساء عرفن منذ زمن طويل كيف يتخلين عن سيطرة الجنس القوي».

«إذا فأنت تفضلين ذلك الأميركي الفاتر الذي نسلتكَ من بين يديه.
حبيبتي، سوف نرى... سأتركك عشر دقائق فقط لأغير ملابسي».
ظَلَّت لورا محدقة للحظة طويلة في الباب حيث خرج ديبغو. لا
شك أنه ذهب الى غرفة أخرى ليغير ثيابه. سوف تقفل الباب. ومن
المؤكد أنه لن يحاول خلع الباب خوفاً من ازعاج جوانيتا.
ولكن لا مفتاح بالباب، لا في الخارج ولا في الداخل! كادت أن
تجهش بالبكاء. وفجأة، اتخذت قرارها النهائي. فخلعت فستانها وارتدت
قميص نوم حريرية، وكانت متأكدة من شيء واحد: قد يمتلكها
ديبغو هذه الليلة لكنها ستفعل المستحيل كي لا تدعه يشعر بأي
اكتفاء لكبريائه وعزة نفسه.

لم تكن لورا تدرك الوقت الذي مرّ، فأغلقت باب الحمام ورائها
وراحت تغسل أسنانها وتزيل الزينة عن وجهها. ثم سَرَحَتْ شعرها.
عينها الخضراوان تعكسان نوعاً من الالهام والوله. حلمت مثل أي
فتاة شابة بليلة عرسها، لكن بصورة غير واضحة. كانت دائماً تتصوّر
زوجاً جذاباً، حالمًا ورومنطيقياً، يعرف ما تطلبه المرأة في مثل هذه
المناسبة.

فجأة انفتح الباب وأطلّ ديبغو مرتدياً منزراً من الحرير. آه، كم
هو بعيد من رجل احلامها الناعم! قالت بصوت متقطع لتربح بعض
الوقت:

«لست... لست جاهزة».

ومن دون أن يتحرك ظل يتأملها من رأسها الى أصابع قدميها.
فالتفتت لورا بعصبية نحو المغسلة لترتب بعض الاغراض. فأمرها

باختصار:

«اتركي هذا كله وتعال».

وبحركة من أصابعها المرتجفة أوقعت لورا معجون الاسنان. ثم
وكان صوت ديبغو سحرها، اقتربت ببطء وكأنها مخدرة، فضمها الى
صدره بشدة. ثم حملها بين ذراعيه كالريشة وتوجّه بها الى الغرفة وهو
يمس بكلمات ناعمة وساحرة.

وضعها على السرير بلطف، وجلس قربها. كانت لورا جامدة
كالثج وهو غارق في مداعبها... لكنها لم تستطع الاستمرار في
الصمود.

قرارها أن تظل باردة كالخجر بين ذراعي زوجها لم يتقدّم، لأنها كانت
تشعر بأحاسيس مثيرة من جراء ملامساته البارعة.

همس ديبغو بحرارة وبإسبانية:

«حبيبتي، إني أحبك».

وغريزياً كانت لورا تداعب كتفيه قبل أن تغرز أصابعها في
شعره الأسود. كانت تهتمهم باللغة الانكليزية بكلمات متقطعة ثم
قالت من دون وعي:

«آه، برانت، حبيبتي».

عمّ صمت لبضعة ثوان. ثم سحب ديبغو شعرها بعنف وهمس
بصوت أحش:

«ماذا قلت؟»

انتفضت لورا في ارتعاشة غير إرادية واستعادت برودة
اعصابها. إنها تحمل الخل لجميع مشاكلها. كيف لم تفكر في ذلك من

قبل؟

فقلت في براءة متصنعة:

«هل قلت شيئاً ما؟»

فقال وهو يرمقها بنظرة غاضبة:

«لقد همست باسم برانت».

فقلت وهي تقطب حاجبيها:

«أه. ليس ذلك غريباً في مثل هذه الحالة... برانت وأنا كنا...»

وتوقفت تاركة ديبغو ينهي الجملة. كانت تشعر بأن جسمه

يرتجف غضباً. فسألها بهدوء يشوبه تهديد واضح:

«هل كان عشيقك؟»

تطلعت إليه بنظرة خالية من أي تعبير وقالت ضاحكة:

«وماذا كنت تتصور؟ في الولايات المتحدة الاميركية يتمتع

المخطوبون بحرية أقوى من هذه البلاد! هل كنت تتصور أن برانت

وأنا يمكننا التوصل الى الاتفاق على الزواج من دون أن نعرف مسبقاً

أننا منسجمان على جميع الأصعدة؟»

رفع ديبغو مرفقيه وسرّها على السرير ونظر اليها بغضب وقال

وهو يشد شعرها:

«لا أريد أن أمارس حقوقي مع امرأة سبق وعرفت رجلاً آخر. لماذا

تزوجت مني؟ لماذا؟»

فقلت وهي ترفع كتفيها:

«لأنك لم تترك لي أي خيار ان والدي...»

قفز ديبغو من السرير وهو يطلق سيلاً من الشتائم باللغة

الاسبانية. ووضع منزره والتفت الى لورا ورمقها بنظرات حقيرة.

«والدك... دانيال والدك... هل تتصورين أنني بعد كل هذا العار، سأرفع

إصبعاً واحداً لأساعده على الخروج من هذه الورطة التي وضع نفسه

فيها؟ يمكنه أن يمضي حياته كلها في السجن!»

بعد هذه الملاحظة، خرج من الغرفة، تاركاً لورا في حالة انهيار.

نجحت في انقاذ نفسها ولكن ماذا كان الثمن؟

٧ - مشاعر متناقضة

«لورا!»

غضباً عنها، فتحت لورا عينيها الناعستين وتساءلت في خوف أين هي. ثم تعرفت الى الوجه القاسي، ذي الملامح النبيلة المتعجرفة، الذي كان يتراءى لها في نومها المليء بالكوابيس. وبحركة من يده، أشار ديبغو الى الصينية الموضوعة على الطاولة ثم قال:

«جنتك بطعام الفطور. كان يجب أن أفعل هذا وإلا لاستغربت جوانيتا الأمر...»

تفوقعت لورا وسألته:

«ماذا... ماذا قلت لها؟»

أجاب وهو يتجه نحو النوافذ، ويفتح الستائر تاركا النور يدخل بقوة الى الغرفة:

«هل اعتقدت بأنني سأقول لها الحقيقة؟ أي أنني أمضيت الليل بعيداً عن زوجتي التي وهبت نفسها لرجل آخر؟»

تكلم من دون غضب وبصوت حزين. شعرت لورا بالدمع

يصعد الى عينيها، متأثرة بكبريائه. كانت تريد أن تتراجع عما قالته بالأمس وأن تقسم له أن برانت احترامها دائماً، وأنه هو، ديبغو بالذات هو الذي عرف كيف يحرك المشاعر التي كانت تجهلها حتى الآن. هذه الليلة، ليلة الحب المتقطع وضعتها على شفير الانهيار وكانت سبباً في أرقها.

ومن دون كلمة، جلست في سريرها وألقت نظرة خاطفة الى الصينية المليئة بالمأكول الشهية. في سلة كان الخبز الصغير الطازج والساخن والزبدة الشهية بشكل أصفاد موضوعة في صحن من الكريستال الثمين. وقرب إبريق القهوة المصنوع من الفضة، وضعت وردة حمراء في مزهرية صغيرة.

فهمست لورا بصوت خافت:

«شكراً لهذا الفطور. الوردة... رائعة»

قال ديبغو وهو يقترب من السرير:

«ليس أنا من أعدّ الصينية. عليك أن تشكري جوانيتا».

«أه...»

لماذا خاب أملها الى هذه الدرجة. لا تعرف؟ وفي حركة خالية من أي حنان، أخرج ديبغو من جيبه علبة صغيرة ورمائها على السرير. وأضاف بسخرية:

«من عاداتنا أن نقدّم هدية الى العروس، شاكرين لها محبتها ورقتها خلال ليلة العرس. من الأفضل أن تأخذها»

أخذت لورا العلبة بيديها المرتجفتين وفتحتها بعناية. وجدت لورا داخل العلبة المبطنّة بقماش الساتان الابيض زوجان من الحلق،

مصنوعان من الزمرد المحاط بحبات الماس، التي تشبه خاتم خطبتها.
«أرجو أن تضعيها هذه الليلة خلال العشاء».

تلعثمت وهي تنظر الى وجه ديفغو الحزين:

«إنها رائعة جداً. لكن يجب أن تحتفظيها لزوجتك».

«أنت زوجتي. وكما سبق وقلت لك، لن أتزوج إلا مرة واحدة في حياتي».

سألته بعد زفرة عميقة:

«حتى بعد كل ما حدث الليلة الماضية؟»

ثم أضافت بعدما أطلقت ضحكة خالية من الشعور بأي فرح:
«لكنك لست ناسكاً».

«لم أعتد العيش كناسك. وبانتظار أن أنسى خيبة أمني بعد خداعك لي،
فلن تنقصني النساء عندما أرى أنني بحاجة الى واحدة».

قالت وكأنها تلقت صفة:

«والنساء الأخيرات، ألسن جديرات بالاحتقار؟»

فأجابها بصوت هاديء وهو يتوجه نحو الباب:

«لا تخطئي الأشياء. لم يسبق أن فكرت أن تكون زوجتي واحدة
منهن. احتسي القهوة. ثم تعالي لنسبح في البركة قبل الغداء وسنذهب
لزيرة والدك في فترة بعد الظهر».

شعرت لورا بجفاف في حلقها، فسكبت عدة فناجين قهوة شربتها
بنهم. لم يكن وضعها أفضل من يوم أمس. سيبدأ لعبة الهر والفأر.
ومتى ستم من النساء، سيفرض عليها أن تقوم بواجباتها الزوجية.
سيعرف حينذاك أنها كذبت عليه فيما يتعلق ببرانت...

لكن، في الوقت الحاضر، يبدو أنه عاد عن قراره في ايهال والدها
وتركه الى القدر. وهذا في حد ذاته انتصار.

عندما خرجت لورا من غرفتها، كانت الساعة العاشرة. وفي الممر
التقت جوانيتا التي أحمر وجهها. ولا شك في أن الخادمة اعتبرت
ذلك ناتجاً عن قضائها ليلة رائعة بين ذراعي زوجها.

فقالت الخادمة وهي تتأمل لورا من شعرها المرفوع الى الوراء الى
قدميها النحيفتين مروراً بفستانها المزهري:

«صباح الخير سينيورا راميريز».

«صباح الخير يا جوانيتا».

بدت الخادمة مسرورة من ان الفتاة الاميركية تجيد اللغة
الاسبانية. فقالت جواباً على أحد أسئلتها:

«إن السينيور في البركة. يمكنكني أن أجلب لك بعض الشراب. إذا كنت
تريدين ذلك».

«شكراً. أفضل بعض القهوة اذا كان هذا ممكناً».

«سأعد القهوة في الحال»

قطعت لورا بهواً في وسطه سبيل ماء واسع. حوله النباتات
المتسلقة على أعمدة حديدية. فجأة شاهدت بركة السباحة المستطيلة
ذات اللون الازرق الفيروزي تلمع تحت سماء شديدة الزرق.

وتأملت بامعان شيخ ديفغو على حافة البركة. وبالرغم منها بدأ
اللبها ينبض بسرعة وهي تتأمل جسمه الجميل المليء بالرجولة وكتفيه
العريضتين وقدميه المعضلتين.

كان واقفاً يستعد لقفزة. ومن دون أن يراها رفع ذراعيه الى الشمس

ثم قفز تحت الماء ولم يظهر الى سفحها الا بعد أن وصل الى الطرف الآخر من البركة.

وخلال عملية الغطس، جلست لورا على سرير بحر مبطن وراحت تدهن قدميها بزيت واقى للشمس.

وفجأة شعرت بدييغو يقترب منها ويتوقف قربها وهو يلاحظ ما تفعله. ومن دون أن ترفع عينيها ظلت تدلك قدميها لتدخل الزيت الى بشرتها.

أخيراً قال بصوت جاف:

«أتصور أن شمسنا المكسيكية الحارة ستتردد في التسرب الى بشرتك بعد هذا التدليك..»

كانت تفكر فيما اذا كانت هذه الكلمات تعني شيئاً آخر، وإذا بدييغو يتناول الانبوب من يديها ويشير الى كتفيها:

«هل تسمحين بأن أدلك كتفيك...»

«بوسعي أن أفعل ذلك بنفسى».

لم يأبه دييغو لرفضها بل وضع في يده قليلاً من الزيت وراح يدلك كتفيها بلطف وشعرت بأنه يملك أصابع ذهبية. فهذا التدليك الخفيف ساعدها على الاسترخاء بعد انفعالات الساعات الماضية وليلتها البيضاء. فاسترخت وأغمضت عينيها الى أن شعرت بيد دييغو تقترب من صدرها، وانفاسه تلامس اذنها. فشعرت بقشعريرة تعبر جسمها، فانتفضت واقفة.

«آه، عفواً يا سينيورا، أحضرت القهوة كما طلبت...»

ولدى سماعها صوت جوانيتا، التفتت لورا بسرعة، واحمرت

خجلاً. لا شك في أن الخادمة شاهدت دييغو يلامسها وربما اعتقدت أنه يمس في أذنيها بكلمات الحب المعسولة. وعلى وجهها تعبير يقول بأن ما تراه او تسمعه شيء طبيعي جداً.

قالت لورا عندما اختفت جوانيتا عن الانظار:

«كيف تجرؤ على هذا. لا شك أنها فكرت...».

هز كتفيه وجلس على طرف سرير البحر وسكب لها القهوة وقال:

«في كل حال انتهت بسرعة الى عينيك المتأججتين. لا شك في أنها وزوجها سعيدان ومبتهجان لليلة عرسنا...».

ثم قدم لها القهوة في فنجان مصنوع من الخزف الصيني. فقالت بصوت ساخر:

«إننى أعجب لاهتمامك برأى الموظفين والخدم».

«لا يمكنك أن تفهمي... عندما كنت صغيراً، كنت آتى الى هنا خلال العطلة المدرسية، وكان كارلوس و جوانيتا بمثابة والدي. وهما الآن سعيدان جداً لرؤيتي متزوجاً وبلمان برؤية أبنائى يقفزون على أحضانها. ولذلك، فلا أريد أن أخيب آمالها».

اتكأت لورا بعنف على أرائك السرير فاندلقت القهوة على الصحن. فاذا بدييغو يأخذ الفنجان من يدها وينظفه ثم يعيده اليها قائلاً:

«كولمى حذرة يا حبيبتي».

قالت في تحد:

«من الذي يمنعني من أن أقول لها إن زواجنا ليس سوى مسرحية ؟»
«أولاً، لن يصدقك. ثم، رغبة منى بأن أكذب أقوالك، فلن أتأخر عن

المطالبة بحقوق الزوجية والحصول عليها».

«صحيح؟ وما رأي والدتك بالامر، لو كانت لا تزال حية».

لكنها كانت قد وعدت نفسها بالألا تدعه يعرف بأن تلميحات كونسويلو فيما يتعلق بتشابهها مع والدته قد جرت شعورها. فسألها بصوت مبحوح:

«من حدثك عن أمي؟»

«لقد شاهدت صورتها في مكسيكو... إن شبيها بي قوي جداً».

فقال وهو يتأملها من رأسها حتى قدميها:

«ليس هذا رأيي الشبه هو مجرد شبه سطحي. في الواقع، ليس بينكما أي شيء متشابه».

صمت لحظة ثم نهض قائلاً:

«سوف أسبح قليلاً قبل موعد الغداء. هل تأتين معي؟»

هزت لورا رأسها بالنفي، فقفز ديفغو في البركة وطرطشها بالماء الذي أنعش بشرتها الملتهبة. لماذا لم تتبعه الى البركة برغم حرارة الطقس؟ احتلها شعور بالخدر والخمول. لكنها لم تكن تتوقف من التفكير بصورة مستمرة. في كل حال، ربما كان من الافضل ألا تلتحق به في الماء. ربما حدث احتكاك بينهما وهي تعرف أنها عاجزة عن مقاومة رغبتها بالاستسلام له كلياً اقتراب منها ولس جسمها. متى أصبح والدها خارج السجن، سوف تفسخ هذا الزواج الذي فرضه عليها ديفغو. وتغادر البلاد ومن السهل ان تحصل في بلادها على فسخ للزواج بطريقة أسهل مما يجري في مكسيكو.

اوقف ديفغو سيارته المرسيدس قرب مركز الشرطة، ثم حذج لورا بنظرة تهكمية وقال:

«تشبهين كثيراً امرأة عانساً مهانة يا جيبتي، أكثر من عروس متألفة بعدما أمضت الليل بين ذراعي زوجها، يجب معالجة هذا الامر».

فالتفت لورا نحوه وانفجرت غاضبة وقالت:

«هل تعتقد أن والدي سيصدق كل هذا الرياء والكذب؟ والدي وألدي أحبا بعضهما البعض منذ اللحظة التي التقيا فيها. ويعرف والدي تماماً كيف يظهر الحب والغرام في عيون العروسين وخاصة بعد... بعد... اوه...»

أكمل ديفغو ببرود:

«بعد ليلة عرسها. اسمحي لي بأن أقول لك يا عزيزتي، أن والدتك لم تكن بكل تأكيد قد نامت مع رجل آخر قبل أن تتزوج والدك».

استغرابها المصدم مات على شفيتها، لأن ديفغو جذبها نحوه وخلع نظارتها. ثم رفع ذقنها بنعومة وحنق في عينيها الخضراوين الناقمتين. ثم من غير مبالاة بنظرات الشرطة التي تستعد للدخول الى المركز، احنى رأسه على وجه لورا التي راح قلبها ينبض بسرعة جنونية. أرادت أن ترفع يدها لتبعدها عنها. لكنها لاحظت أنه انتزع من شعرها الدبابيس وانسدل شعرها الاشر على كتفيها. تقلصت حتى لا تنساق مع هذه الاحاسيس المتبقية من جراء هذا الافتحام المنتظر. عناق ديفغو وأصابه التي تلامس شعرها وعنقها، كلها تساهم في فقدانها لوعيها. وأدركت أن برانت لم يكن قادراً على أن يشفي غليلها ويطفىء الظما الذي بدأت تشعر به. همست في أذنيه بصوت مذهول:

«ديفغو...»

ولما دفعها عنه فجأة، شعرت بصدمة كبيرة. وخلال لحظة، راح يتأملها مثل فنان معجب بلوحته. ثم قال لها بصوت مبجول:
«والآن، لا شك في أنك تبدين متعة للنظر. سوف يتأكد والدك من أننا عاشقان متيان ولما رآها تبحث في حقيبتها عن مشط وحمرة الشفاه قال:
«لا. لا تفعل شيئا. والآن اضطرت الى أن أعيد الكرة».
تناولت لورا نظارتها لكن ديبغو اعترضها قائلاً:
«اتركي النظارات هنا. إن نظراتك... كاشفة».

وبرغم غضبها، لم تكن لورا مستاءة من وجود ديبغو معها. الشرطي البدين الذي رآته خلال زيارتها الاولى نهض لاستقبالها في ابتسامة مجاملة. لكن الشرطيين الآخرين راحا يحذقان بها بطريقة وقحة، مما جعلها تلتصق بديبغو الذي وضع ذراعه حول خصرها. ولم يتركها إلا عندما وصلا إلى زنزانة والدها. ولما فتح السجان الباب أسرع لورا إلى داخل الغرفة، تبحث عن والدها الذي كان ممدداً على السرير ورأسه في اتجاه الحائط وقد حل مكان السرير الصغير سرير واسع وضعت عليه الشراشف الملونة.
«أبي! هذه أنا!»

استدار دان وفتح عينيه كأنه يستيقظ من نوم عميق.

«لورا! هذه حقاً أنت؟»

انتصب بصعوبة وجلس على حافة السرير. ثم نهض وعانق ابنته وشدها إلى صدره. ثم قال بصوت ثقيل:
«كنت أحلم. عفواً يا ابنتي. لم أنتظر أن أراك بهذه السرعة بعد الزواج. والآن لربت غرفتي. أقبل مني أحراً التهاني، يا ديبغو».

ثم ابتعد عنه ابنته قليلاً ليتأملها عن قرب. واستغربت لورا أن ترى بشرته داكنة فقال دان بابتسامة طبيعية:
«أرى أن الزواج يليق بك، يا صغيرتي. لم يسبق لي أن رأيتك مشعة كالיום. واني سعيد جداً لذلك».
قالت بصوت خافت:
«كنت أود لو حضرت حفلة العرس، يا أبي. لم يكن هناك أحد من عائلتي».

ضغط دان على يدها وقال بانفعال بعد صمت طويل:
«كان هناك زوجك. إنه يساوي كل اهلك واصدقائك».
كبت لورا أحاسيسها والتفتت عفواً إلى ديبغو وفوجئت أن رأت في عينيه الحنان والمحبة. فقالت بصوت منخفض:
«نعم... كان هناك ديبغو».
قال دان:

«لنجلس ونحدث قليلاً. لا أريد أن أحتجزكما كثيراً. لا شك أنكما ترغبان أن تكونا وحيدتين. كما أننا لسنا في فندق من الدرجة الاولى. لكن، منذ زيارة لورا الاخيرة، أصبحت غرفته مريحة جداً. وضعت المقاعد الجلدية حول الطاولة. وخزانة مليئة بالملابس. وعلى الطاولة أباريق القهوة والشاي وبراد يحوي على المشروبات المنعشة.
«ديبغو، أريد أن أشكرك لكل ما فعلته لتجعل هذا المكان مريحاً. كما أحب أن أشرب شيئاً على شرفكما. ماذا تريدان أن تشربي يا لورا؟».
كانت على وشك الرفض، لكن نظرات ديبغو جعلتها تغير رأيها فقالت:

«أريد قليلاً من الشاي».

وقام ديبغو بسكب الشاي للجميع. وإذا بدان يرفع كأسه ويقول وهو ينظر إلى ابنته بانفعال كبير:

«ليكن زواجكما سعيداً كما كان زواجي».

احمرت لورا خجلاً وجرعت الشاي وكادت تختنق ثم قالت:

«أعرف جيداً، يا أبي، أن زواجك كان فريداً من نوعه».

لم يكن بإمكانها التصور أنه سيأتي يوم ويشرب والدها على شرفها في زنازة مكسيكية، كأن عرسها من رجل حقير؟ هي التي كانت تحلم أن يرافقها والدها إلى العرس ويسلمها إلى برانت. أمر غريب للغاية... فجأة عادت إلى وعيها وتبين لها أن والدها وزوجها يتحدثان كأنهما صديقان قديمان.

أه لو أنها قادرة على أن تفتح قلبها لदान، أو أن تبقى معه. لوحدها بضعة دقائق. خلال الفرص المدرسية التي كانت تمضيها برفقة والدها على متن سفينته بربرة كان دائماً يصغي إليها بانتباه لكل مشاكل وأحزان الطفولة والمراهقة. أما اليوم والوضع معها متأزم، فإن والدها هو آخر من يمكنها أن تشكو إليه أو تفتح له قلبها.

نهض ديبغو كأنه أحسن بمدى توترها، ووضع فنجانها على الطاولة وقال في محبة:

«يجب أن نذهب الآن، يا حبيبتي».

ثم أضاف وهو يلتفت نحو عمه:

«تأمل خادمتي أن يكون العشاء الليلة أنجح مما كان عليه عشاء الأمس...»

ابتسم دان ترانت بينما ابتعد ديبغو نحو الباب تاركاً الابنة والأب يودعان بعضهما البعض على حدة.

همس دان في صوت مبحوح:

«لقد عثرت على زوج محب، يا حبيبتي. اعتني به جيداً. هذا ما فعلته أمك ولم نندم أبداً على هذا».

أرادت لورا أن تصرخ له أنها نادمة على زواجها من هذا الرجل الذي لا تحب ولا يمكنها أن تحبه أبداً.

«أنت محب ديبغو كثيراً، أليس كذلك، يا أبي؟»

أجابها دان وهو يتفحصها بنظراته:

«نعم. سيكون صالحاً لك، يا صغيرتي. لقد عرفت ذلك منذ المرة الأولى، عندما رأيته ينظر إليك في الميرادور. كما أنني فخور جداً بابنتي. واعتقد أن ديبغو محظوظ بك أيضاً، ومسرور لأنه تعرّف إليك. لقد قلت له ذلك. وكان من رأيي».

سألته لورا من دون أن تخفي مرارتها:

«والآن؟»

قال دان وقد فاجأته لهجتها الحزينة:

«كأن شيئاً ما يزعجك، يا ابنتي، الست سعيدة؟ أحياناً يشعر المرء بالانصدام بعد ليلة العرس الأولى، لكن الأمور تتبدل بسرعة، سوف ترين ذلك».

أدركت لورا أنها تشكو بطريقة غير مباشرة، فقامت بجهد وابتسمت وقالت:

«هلي أنا سعيدة. لا يمكنني أن أتصور العيش من دون ديبغو».

فرح لجوابها. غصت لورا وخرجت لتوها من الزنزانة. طوّقها ديبغو بذراعيه ورافقها في المشي ولم تتمكّن من إخفاء دموعها. ولما وصلا الى السيارة، سألتها ديبغو:

«هل هناك ما يزعجك؟»

«طبعاً. لماذا الاستغراب؟ اني متزوجة من رجل ترعبنى مجرد رؤيته ووالدي مسجون في هذا المكان المرعب».

قامت بحركة غاضبة باتجاه السجن الواقع على الجهة الثانية من الطريق. وبالصدفة وقع نظرها على وجه ديبغو، فانتبهت الى تغير ملامحه بهذه السرعة الرهيبة. فقدت عيناه لمعاتها وحرارتها العادية. وتقلص وجهه. ومن دون كلمة، اقلع بسيارته.

وخلال الطريق عمّ الصمت. مرة أو مرتين ألق لورا بنظرة خاطفة باتجاهه.

أوقف السيارة أمام المنزل وأخذ لورا بذراعيها بقوة نحو الشقة، من دون أن يلاحظ نظرة جوانيتا المتفاجئة وكانت لورا تنتظر في أن تراه ينتقم منها بطريقة... طبيعية. لكنها ظلت جامدة. مستعدة لكل شيء ما عدا رؤية ملامح وجهه الجامدة. فهمست بعدما دفعها بقوة داخل الغرفة:

«ديبغو!»

ثم رددت بصوت مرتجف وهي ترفع عينيها نحوه:

«ديبغو... ديبغو!»

«اجلسي».

تقدّمت خطوة منه وفي نظراتها توسل...

«اجلسي. اني أمرك أن تجلسي، اسمعيني جيداً».

جلست لورا في مقعد وهي تحدق فيه. توجه ديبغو الى النافذة وأدار لها ظهره. وبعد صمت طويل قال بدون أن يلتفت اليها:

«لقد أخطأت. أخطأت عندما تزوجتك بعدما انتزعتك من خطيبك، وأخطأت في الاستفادة من وضع والدك لأرغمك على الزواج الكريه بنظرك. كنت اعتقد بأنني قادر على التوصل الى أن أجعلك تحبينني، لكن...»

التفت نحوها وهو يهز كتفيه. فهمست لورا في صوت متقطع:

«الحب... لا يمكن فرضه».

أضاف وهو ينظر الى النافذة:

«أعرف هذا الآن. ولذلك، لن أفرض عليك شيئاً. من الافضل أن نظل متزوجين لمدة من الوقت. هذا يسهل علي القيام بالمساعي الضرورية لأخراج والدك من السجن ومتى أصبح حراً أعيد لك حريتك».

«أريد أن تقول...»

«سوف نطلب فسخ الزواج».

«لكن، ديبغو...»

هذا ما كنت تريدني منذ البداية، أليس كذلك؟ أن تخرجني والدك من السجن والاتحاق بالرجل الذي تحبين؟»

حزن قلب لورا وتلعثمت وهي تقول بصوت خافت:

«نعم».

بينما أدار ديبغو ظهره وخرج من الغرفة.

٨ - ما طعم الحياة بلا حب؟

همس جار لورا بلهجة متملقة:

«إن زوجك محظوظ جداً لأنه عرف كيف يقطف أجمل زهرة ليزين طاولته، يا سينيورا».

ألقت لورا نظرة سريعة الى الطرف الآخر للطاولة المستطيلة. كان ديبغو يصغي بانتباه الى حديث جارته الجذابة. كان يبدو مسحوراً بجمال هذه المرأة السمراء، التي كانت ترتدي فستاناً أبيض ضيقاً، يظهر تفاصيل جسمها الجميل.

أجابت بابتسامة مشدودة:

«لا أعتقد بأن زوجي كان يجد صعوبة في تزيين طاولته بالزهور، يا سينيورا».

أضاف جارها الذي كان يتبع اتجاه نظراتها:

«لا تقلقي عليه فيما يتعلق بفرانسيسكا. إنه حب قديم. حب الطفولة. لقد تزوجت من رجل فرنسي. وسمعت أنها كانت سعيدة جداً معه. لكن للأسف، توفي أنطوان منذ بضعة شهور. كانا يعيشان في فرنسا لكن فرانسيسكا فضلت أن تعود الى وطنها، فبإمكان عائلتها

وأصدقائها أن يساعدها في التغلب على أحزانها.

شاهدت لورا يد ديبغو في يد الأرملة الجميلة، حيث أبقاها مدة طويلة. حاولت جاهدة أن تتحرك وتتذوق ثمر الفريز الذي ينمو في جنوب المكسيك. لكن قابليتها ضاعت. وضعت شوكتها في الصحن وأشارت سرّاً الى الخادمة. وبعد لحظة، قدمت القهوة الى المدعوين. نظرت لورا بسرعة نحو زوجها. إنه ما يزال يتحدث الى جارته.

هذا هو العشاء الثالث الكبير الذي يقام في فيللا جاسينتتا منذ عودتهما الى أكابولكو، وتعودت لورا بسرعة أن تترأس الطاولة التي يشترك فيها عدد من الشخصيات الكبيرة المعروفة جداً في المكسيك. فقد قال لها ديبغو إن هذا النوع من الاحتفالات يساعد في الجهود المبذولة لأخراج والدها من السجن وفي الاسراع باجراء المحاكمة.

قال لها ذات يوم عندما كانا يتناولان طعام الفطور قبل أن يتوجه الى مكتبه.

«في بلادي، من الصعب استعجال الأمور. علينا أن نستقبل الشخصيات مرّات عديدة قبل أن نطلب منها الاهتمام بقضيتنا». فقالت له بلهجة غاضبة:

«انت لا تفعل شيئاً، والدي...»

أجابها ديبغو غاضباً وهو يرفس الكرسي:

«بالنسبة الى الظروف الراهنة فإن والدك ليس في وضع سيء، بل بالعكس...»

قالت لورا بالحاح:

«ينقصه الهواء ولون بشرته أصبح رمادياً».

قال في سخرية:

«أسف لأنني لم استطع إقناع المسؤولين بأن يأخذوه كل يوم الى شاطئ البحر لتلوح الشمس بشرته».

وخرج من الغرفة قبل أن يتسنى لها الاعتذار. فهي تعرف جيداً، أن والدها سيكون في وضع يرثى له، لولا مساعدة ديفغو. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من إثارة زوجها. ربما لأنها تشعر بالاهانة عندما تراه يتأقلم مع وضعها المعقد في رباطة جأش وهدوء. ومنذ الليلة التي وعدها فيها بأن يعيد إليها حرمتها، كان يعتبرها كأنها تمثال من الرخام يزين المكان.

وخلال شهر العسل الذي لا ينتهي لم يعد ديفغو ينظر إليها كأنها امرأة جذابة ومثيرة، بينما هي تفقد صوابها وتضطرب تأثراً، فان ديفغو يحافظ على هدوئه الغريب. ولا شك في أن ذلك غريب لأنه يتمتع بطبع ناري. إن ذكرى ليلة عرسهما حين كانا على وشك إتمام الزواج ما زالت تلازم لبالها الأرق.

قالت لورا لجار ديفغو بعدما انتبهت أنه يكلمها:

«أه، عفوا إنني... إنني تائهة... كأنني كنت في القمر».

فهمس قائلاً:

«اعتقد بأن ديفغو يحاول أن يشير إليك منذ لحظة. لا شك في أنه يرغب في أن ينهض عن الطاولة؟»

«نعم بكل تأكيد...»

احمرت بينما كانت نظراتها تلتقي بنظرات رب المنزل المترنة. ولثانية

ظلت جامدة وكأنها مشلولة. وبجهد نهضت ولحقت بالضيوف الى الصالون.

اتكأت لورا الى حائط الموقدة وراحت تتأمل في ابتسام المدعويين المتجمعين في حلقات في مختلف زوايا القاعة الكبيرة.

بين المدعويين كان وزير العدل واثنان من معاونيه. في هذه الليلة بالذات سيحقق ديفغو أولى الخطوات من أجل الاسراع في إجراء محاكمة والدها. هل سيبدأ بالحديث معهم الآن، في غرفة الطعام الفارغة، أم أنه سيصطحبهم الى مكتبه المريح الواقع في الطرف الآخر من البهو؟

فجأة تقدّم منها بعض المدعويين يرغبون في أن يشكروها على هذا العشاء الذي اعدته.

قالت لورا وهي تبتسم لأحدى المدعوات:

«يجب أن تشكري الطاهية على ذلك كان يكفي فقط أن أوافق على قائمة الطعام التي وضعتها».

وفجأة تقلّصت معدتها، إذ رأت وزير العدل يصغي بانتباه الى أحد معاونيه بينما معاونوه الآخر يتحدث مع مجموعة من المدعويين.

أين ذهب ديفغو؟

اعتذرت لورا من المدعويين المحيطين بها وابتعدت خلسة. كان الخدم يقدمون المشروبات المنعشة. ألقت نظرة الى غرفة الطعام، فلم تجد إلا الخدم يوضّبون المائدة.

تردّدت لحظة. هل هو في مكتبه؟ ربما ناداه أحد ليرد على الهاتف؟ في أكابولكو كما في مكسيكو لم يكف الهاتف عن الرنين.

اجتازت البهو وتوقفت أمام باب المكتب وراء باب ضخم. فلم
تسمع أي صوت. وبعد ثانية من التردد، فتحت الباب.

كان ديبغو يحنى رأسه على امرأة وجهها مليء بالدموع وهي
تنتحب بين ذراعيه... إنها فرانسيسكا.

وأول إنسان استعاد وعيه كان ديبغو، الذي نظر بقسوة إلى
لورا ثم قال لفرانسيسكا في لطف:

«اذهبي الآن، يا عزيزتي. سنتابع الحديث بعد قليل».

أحنت فرانسيسكا عينيها ومرت أمام لورا واختفت من دون
أن تقول كلمة. فتح ديبغو علبة موضوعة على المكتب وأخرج
سيكاراً صغيراً أشعله بهدوء قبل أن يلتفت إلى زوجته. وسألها في
سخريّة:

«إذاً، يا عزيزتي، أنت تطارديني في عريني؟ لماذا هذا التطفل؟»

الغضب الذي شعرت به لورا ورؤيتها فرانسيسكا بين ذراعي
ديبغو حلّ مكانه الانفعال. فقالت بلهجة جارحة:

«إنني اهزأ من كل النساء اللواتي تعاشرهن، كما أنني لا أهتمّ بالمدعوين
الذين تتغاضى عنهم. غير أنني أشعر بصدمة إذ أراك تحلّ بوعدك بأن
تتحدث إلى الذين سيساعدوننا في إخراج أبي من السجن».

لم يرد ديبغو في الحال. تسمر وجهه ثم نفّس رماد سيكاره قبل
أن يجلس إلى مقعد جلدي أسود وراء مكتبه، ويقول بلهجة هادئة:
«لم أعدك بشيء من هذا النوع. لم أكن انوي أن أبدأ محادثات الليلة».
«لكنك أكذبت لي...»

«لقد سبق وقلت لك ورددت ذلك على مسمعك مئات المرات، أنه في

بلادنا، هذا النوع من المبادرات لا يمكن الاقدام عليه إلا بكثير من
الديبلوماسية. وليس مسلماً سلباً أن أفتح هذا الموضوع مع رجال
مدعوين إلى مائدتي الآن».

فقدت لورا سيطرتها وخطت على المكتب وصرخت في صوت
هستيري:

«لا أبالي قطعاً بهذه الانظمة واللياقات إذا كنت لا تريد أن تكلمهم
الآن، فسوف أكلمهم أنا».

أسرعت في الخروج، لكنها ما كادت تصل إلى الباب حتى أمسكها
ديبغو في معصمها بعنف وأدارها نحوه وقال ووجهه أبيض من
الغضب:

«أمنعك من إحراج المدعوين. هل تسمعين اصعدي إلى غرفتك في
الحال. سأعتذر لهم عنك. وتحدث في الامر في وقت لاحق».

فقالت:

«قبل أو بعد محادثتك الصغيرة مع فرانسيسكا؟ يبدو لي أن سهرتك
حافلة بأمور كثيرة».

رفع يده عنها وتراجع خطوة إلى الوراء وقال بهدوء:

«لا أرى لماذا أكن لك الاخلاص».

فقالت في تحدّ:

«وانا، لا أرى لماذا لا أتولى الدفاع عن قضية والدي، شخصياً»
فصرخ وهو يحملها كالريشة ويتوجه بها نحو السلم المكسو
بالسجاد الأحمر الذي يصل إلى الطابق الأول:

«هنا، أنت في منزلي، أيتها المرأة الشرسة، ستفعلين ما أقوله لك».

صفعته لورا بقوة وصرخت:

«أذا، تقول إني امرأة شرسة! لكنك لم تر أو تسمع شيئاً مني. بعد، انتظر لترى».

فقال وهو يضع يده حول ظهرها ويصعد بها السلم:

«الآن تجاوزت جميع الحدود».

توقفت لورا عن التخبط ليس لأنها مكبلة، بل لأن انفعالاً غير منتظر اجتاحتها كلياً. فقد شعرت بصدر ديبغو المضغوط على صدرها. تكفي رائحة عطره حتى تغيب عن وعيها.

حملها من دون أي جهد ظاهر حتى السرير ووضعها بلطف. وقال بصوت يلهث وهو يحدق فيها بشراسة:

«المطلوب منك أن تبقي هنا حتى يتصرف المدعوون. هل فهمت؟ سأعود فيما بعد».

نظرت إليه وهي مخدرة بالانفعال ولم تكن قادرة على أن تنطق بكلمة. خرج ديبغو وأقفل عليها الباب بالمفتاح.

فهمست بصوت متقطع:

«أه، يا إلهي! هذا مستحيل، إني أحبه! لا، هذا مستحيل».

يا لغربة الأمر... قبل دقيقة كانت تكرهه، والآن... إنها تريده بجنون. لم يعد الأمر بمثابة رغبة سبق وشعرت بها في أكابولكو. لا، إنها تريد أن تصبح زوجته بما في هذه الكلمة من معنى. أن تكون المرأة التي كان يحلم بها منذ الأزل، أن تكون في الوقت نفسه، العشيقة، والزوجة وربة بيته وأم أولاده...

لماذا استغرقت كل هذا الوقت كي تكتشف حقيقة عواطفها؟ كان

لديها العديد من الأسباب لتحبه، شكله الخارجي يعجبها. وهذا تعرفه منذ وقت بعيد. ثم، أعجبت بالاهتمام والعناية والاحترام لموظفيه وحتى لخدمه، كذلك الاحترام والمحبة اللذين يكنهما الجميع له، فضلاً عن الاهتمام بمساعدة والدها. لماذا أضاعت كل هذا الوقت الثمين لتقاوم هذا الانجذاب الخداع؟

ربما لم يفت الامر! صحيح إنها رأت منذ قليل يعانق فرانسيسكا. لكن هذه الأخيرة عادت من فرنسا منذ فترة وجيزة. والامور بينه وبينها لم تتطور بعد. وعندما يكتشف ديبغو أنها تحبه، يمكنها أن تستعيده...

وفي الباحة الواقعة تحت النوافذ، سمعت فجأة ضجيج أصوات وضحكات وأبواب تصفق ومحركات سيارات تقطع.

تحمست لورا ونهضت من سريرها وخلعت بسرعة فستانها الأخضر الذي ارتدته للعشاء، وفتحت باب خزانها، وبعد أن أمضت وقتاً لا بأس به تتأمل العدد الهائل من قمصان النوم المعلقة، وقع اختيارها على قميص نوم شفاف من قماش ناعم، عربون البراءة، كما سيكتشف ديبغو ذلك.

بدأ قلبها ينبض بسرعة. نظرت الى المرأة وأعجبت بنفسها وبوجهها الأحمر وعينيها اللامعتين المتلهفتين. فكّت كعكة شعرها فانسدل على كتفها ثم راحت ترحله. ثنت غطاء السرير وأطفأت الانوار تاركة ضوء قنديلين من كل جهة من السرير.

أه كم كانت تكره هذه الغرفة، وأثاثها الاسباني الضخم وجوها المهنوق. والآن كل شيء مختلف وهي تستعد أن تتقاسمها مع

دييغو... لكن لماذا تأخر دייغو في الحضور؟ لقد وعدها بأن يوافيها متى ذهب المدعويين. ساورها القلق فاقتربت من إحدى النوافذ وأزاحت الستائر قليلاً. ربما قرر دייغو أن يحدث وزير العدل في قضية والدها.

لم يكن هناك أية سيارة أمام المنزل، سوى سيارة المرسيدس التي تلمع تحت ضوء المصابيح الكهربائية التي تنير الساحة كضوء النهار. ثم لمحت شبح دייغو واعتقدت لورا أن قلبها سيتوقف عن الطرق. كان يتأبط ذراع امرأة ترتدي معطفاً أبيض.

وما أن وصلا أمام السيارة، حتى أخذها بين ذراعيه. رفعت المرأة وجهها نحوه. إنها فرانسيسكا.

ولما انحنى رأس دייغو على وجه فرانسيسكا، أطلقت لورا نحيباً عنيفاً وأقفلت الستائر.

لا شك أن باب غرفتها قد انفتح في وقت معين من الليل. وعندما أفاقت لورا كانت تريزا الخادمة قد وضعت صينية الفطور على طاولتها. وباصبعها لمست ابريق القهوة الذي ما زال فاتراً. فقفزت من السرير وتوجهت الى الستائر تزيحها لتدع النور يدخل إليها. ونظرت الى ساعة الحائط المعلقة فوق المدفأة: إنها الساعة التاسعة والربع. كيف كان بإمكانها أن تنام طويلاً وبهذا العمق بعدما أمضت جزء كبيراً من الليل تبكي وتتنحب؟

ولما نظرت الى نفسها في المرأة عرفت مدى حزنها وتعاستها. عيناها متورمتان وملاحمها الناعمة متشوشة. فدخلت الى الحمام ووضعت وجهها في الماء البارد مدة طويلة. ولما عادت الى غرفتها، استعادت

بعض وعيها. القهوة الفاترة تساعدها على أن تستيقظ تماماً. لكنها لم تكف عن التفكير فيما حصل: لم يعد دייغو قبل الفجر لأنها لم تسمع صوت محرك سيارته. ما دامت لم تخلد الى النوم إلا في الفجر. ولحسن حظها فإن دייغو لا يمكنه أن يعرف أنها انتظرت في تلهف العروس، ليلة زفافها. يكفي ما تشعر به من ذلّ واهانة بعدما عرفت أنه بقي مع فرانسيسكا بدل أن يعود الى غرفته كما وعدها. سكت لنفسها فنجناً آخر من القهوة وذهبت تجلس في أحد المقاعد قرب الموقد.

لا شك أنه عاد خلال الفجر، وإلا لما كان في وسع تريزا أن تدخل الى غرفتها حاملة صينية الفطور، إلا إذا ترك المفتاح في القفل. وهل الخدم اغبياء هنا، يكفي أن تنظر تريزا إلى السرير لتعرف أنها نامت وحدها في هذا السرير الضخم.

وفي يأس نظرت لورا الى السرير الذي تأمل من كل قلبها أن تتقاسمه مع زوجها. للأسف لقد فات الاوان. سئم دייغو هذا الزواج الابيض. وحبّه القديم لفرانسيسكا سرعان ما عاد الى الحياة من جديد. كما أن هذه المرأة المكسيكية الجميلة أصبحت حرة.

بدأ الدمع يتفرق في عينيها، عندما سمعت طرْقاً على الباب. فانتفضت فجأة وتهضت. انفتح الباب. وظهر على عتبة دייغو في بذلته الرمادية وقميصه البيضاء وربطة عنقه ذات اللونين الاحمر والرمادي.

نسيت لورا كلياً قميص نومها الشفاف الذي كانت ترتديه وراح دייغو بكل وقاحة يتأمل جسمها النحيل الظاهر تحت القميص.

احمزت لورا خجلاً وراح قلبها ينبض بسرعة جنونية. لا شك أنه يقارن نحافتها بجسم المرأة التي أمضى الليل معها.
سألها فجأة:

«هل أنت تعيسة جداً، يا حبيبتي؟»

مسحت الدموع بطرف يدها وأجابته بلهجة لازعة:

«تعيسة، انا؟ لماذا أكون تعيسة؟ تزوجت من رجل ثري وقادر. ووالدي متهم خطأ بتجارة المخدرات، فلماذا أكون تعيسة؟»
«لورا، لقد وعدتك...»

قاطعته في شراسة وهي تتوجه الى الخزانة لتضع منظرها:

«حافظ على وعودك لفرانيسكا!»

«فرانيسكا؟»

ظهرت الدهشة على وجه ديبغو الى درجة أن لورا كادت أن تستسلم لو لم تره بعينها خارجاً ليلة البارحة مع هذه المرأة المكسيكية الرائعة.

رددت وهي تبكل أضرار منظرها:

«نعم، فرانيسكا!»

تقدم ديبغو خطوة منها وقال:

«سأشرح لك...»

قالت له بصوت جارج وهي تجلس أمام منضدة الزينة لتسرح شعرها:

«لا أطلب منك أي شرح. إنني أرغب في شيء واحد، وهو معرفة متى يمكن لأبي ولى أن يغادر هذا البلد اللعين!»

قال لها في جفاء:

«جئت لأقول لك، إنني على موعد مع جوزيه بيريز، وزير العدل، في الساعة الحادية عشرة.»

«أوه!»

توقفت لحظة عن تسريح شعرها ثم أضافت:

«حسناً. تخبرني عن نتائج اللقاء في أكابولكو. لأنني أنوي السفر الى هناك في الطائرة المسافرة ظهراً.»

ران صمت فيه تهديد. ثم قالت لورا نفسها فلم تقذفه بالاتهامات التي ظلت ترددها طيلة تلك الليلة البيضاء التي أمضتها وهي تنحب باكية على وسادتها. أخيراً سألتها:

«هل أنت ذاهبة الى أكابولكو؟»

أجابت بمرارة وهي تلتفت اليه:

«ليس عندي خيار آخر. إنني من دون عمل وبالتالى ليس معي نقود. إنني مضطرة لأن اتكّل عليك إلى أن اصبح قادرة على الاتصال بهرانت.»

خيل اليها أنه سينفجر غضباً مثلما حدث مساء أمس. لكنها تجاوزت حدود الخوف. كانت مستعدة لأن ترضى بأن يخنقها غضبه. لم يعد هناك طعم للحياة ما دام لا يحبها.

قال وهو يستعيد برودة اعصابه:

«حسناً. سأنتصل بك. وفي الوقت الحاضر سأحجز لك مكاناً في الطائرة.

إنك لم تحجزى بعد، على ما أظن.»

«لا.»

تناول ديفغو ساعة الهاتف وأجرى الاتصال اللازم. قال لها قبل أن يتصل بفيللا جاسينتا:
«لقد حجزت لك مكاناً».

ثم أعطى أوامره لجوانيتا ووضع الساعة وقال:
«ستعد جوانيتا كل شيء لتوصيلك. وسينتظرك غييارمو في المطار».

«لا... سأخذ تاكسي. المطار ليس بعيداً عن الفيللا».
«أفضل أن يذهب غييارمو لاستقبالك. فليس لديه أعمال كثيرة في غيابي».

لم تلج لورا عليه. كيف يمكن لديغو أن يكون مطلعاً على اهتمامات غييارمو. لقد شاهدت لورا هذا الشاب الجميل قبل زواجها بقليل. وكان على متن باخرة ديفغو ولمحته يغازل إحدى السائحات. لو شاهدته ديفغو ذلك اليوم، لما سمح له بأن يقترب من زوجته.

كان ديفغو قد وصل إلى الباب عندما سأله لورا في صوت متوسل:

«ستتصل بي، أليس كذلك؟»
«طبعاً».

همست وهي تراه يخرج خالماً من غرفتها:
«شكراً».

قالت لورا لنفسها في غضب، لا شك أنه سيسرع في تحريك

الأمر. ليتخلص منها ومن والدها، ثم يتزوج من فرانسيسكا، هذه الأرملة الشابة الجذابة التي جاءت إلى المكسيك لتلتقي حبها القديم.

٩ - حقيقة كالحلم

حسب الاتفاق، جاء غييارمو لينتظر لورا في المطار. وخلال الطريق الى الفيلا، كانت تدرك إعجاب هذا الشاب المكسيكي بها. وخلال الاسبوعين اللذين قضتهما في الفيلا، خلال شهر العسل، كانت تلاحظ ذلك، لكن وجود ديبغو الى قربها، منعه من إظهار إعجابه بوضوح. لكن نظراته بدت اليوم وقحة إلى درجة ظاهرة. «استغرب كيف أنّ السينيور ديبغو يدع زوجته الرائعة وحدها خلال هذه السفرة الطويلة...»

كانت مكسيكو تبدو لهذا الشاب في آخر الدنيا وهو الذي لم يغادر مدينة الحمامات الشهيرة. ابتسمت لورا بتحفظ وقالت بلهجة مازحة:

«لا أظن أنّ بإمكان أحد أن يخطفني. كان السينيور ديبغو على موعد مهم، صباح اليوم، فأوصلني سائقه الى المطار. وبعد ساعة سفر في الطائرة وسط مئات المسافرين، جئت أنت لاستقبالي. وإنني أسألك ماذا يمكن أن يحدث لي؟»

وخلال الطريق، لم تكف لحظة عن التفكير بوالدها. المهم أن تتم

المحاكمة بسرعة. فهي لم تشك لحظة في براءته وهي التي سمعته مراراً يهاجم بعنف الذين يتاجرون بالمخدرات. فكيف يمكنه أن يورط نفسه في مساعدة هذين الرجلين اللذين استأجرا منه اليخت.

أه، لو يتم القبض عليهما، لكان بالامكان انتزاع الحقيقة منهما. وبدا حتمياً أنّ والدها سيدفع الثمن مكانهما إذا استحال توقيفهما. وصلت السيارة أمام ساحة الفيلا المحاطة بالخضار بمختلف أنواعها.

وما أن سمعت محرك السيارة حتى خرجت جوانيتا الى عتبة المنزل لاستقبال معلمتها بحرارة وارتباك.

سألته وهي تأخذ من يد لورا حقيبة الزينة بينما كان السائق يخرج حقيبتها الوحيدة من صندوق السيارة: «هل سيأتي السينيور ديبغو متأخراً؟» فأجابته باختصار:

«نعم. سيلتحق بي قريباً. لديه مواعيد عمل مهمة.»

فتحت جوانيتا الحقيبة التي وضعها كارلوس على طاولة صغيرة وأطلقت زفرة عميقة وقالت:

«أه، الواجب بالنسبة إلى السينيور ديبغو قبل أي شيء آخر. عندما كان صغيراً كان يعرف معنى المسؤوليات. كان يكبر أخاه بسنتين فقط ويهتم به اهتماماً مسؤولاً. لكن جيم كان مختلفاً. يحسب المرح والصحك. ولا يرى في الحياة غير حسناتها.»

توقفت لحظة عن الكلام ثم تابعت:

«كان عمر السينيور ديبغو أربعة عشر عاماً عندما فقد والده. وبعد

ذلك كانت تأتي السينيورا جاسينتا لتمضي مع حفيدها العظلة. في أي ساعة تحبين تناول العشاء، يا سينيورا؟»

«أه، في الثامنة والنصف، يا جوانيتا. لكنني سأتناول فنجان شاي في الصالون الصغير بعد القيلولة. وبعدها سأخرج لفترة قصيرة.»

قالت جوانيتا مقبضة حاجبيها:

«هل نحتاجين إلى غيارمو ليوصلك إلى مكان معين؟»

«كلا. سأقود السيارة بنفسني.»

لم ترهب جوانيتا بقرار معلمتها الخروج وحيدة. لكن لورا تجاهلت الأمر. فهي لا تريد أن تدع أحداً يعرف بوجود والدها في السجن المحلي.

سألت لورا:

«هل هناك أي رسائل لي؟»

«كلا، سينيورا.»

لم يرد برانت على رسالتها وهي لا تستغرب ذلك. في الحقيقة لم تكن مصرة على أن تتلقى منه رسالة. فهي لم تشعر تجاه خطيبها القديم سوى بالمحبة. وهذا الاحساس لم يكن واضحاً إلا الآن. إن ديبغو وحده يملأ عالمها. وحده قادر على أن يشعرها بمداعباته وملامساته الخنونة.

وتساءلت وهي ممددة على السرير: لماذا ما تزال تتذكر مشاهد الحب مع ديبغو بعد أن تهدم كل شيء بينهما؟ وبرغم تصميمها على ألا تفكر فيه، لم تستطع أن تمتنع عن التفكير بتلك الليلة التي كادت أن تستسلم فيها نهائياً.

«عفواً سينيورا! الهاتف!»

التفتت لورا وقالت نصف نائمة:

«ماذا هناك؟»

«الهاتف، سينيورا! إنها الشرطة!»

نهضت لورا من سريرها مرتجفة ورددت:

«الشرطة؟ سارة من هنا.»

وبرغم صدمتها، ظلت منتظرة إلى أن أقفلت جوانيتا ساعة

الهاتف في اليهو قبل أن تعطي اسمها:

قال صوت رجل:

«العفو، سينيورا. أريد التحدث مع السينيور راميريز.»

«ليس هنا. إنه في مكسيكو. ولكنني...»

«لو تفضلت أن تقولي لي أين استطيع الاتصال به يا سينيورا.»

فقالت متوترة:

«إذا كانت القضية تتعلق بوالدي، دانييل ترانت، فيمكنك أن تقول لي ما الأمر.»

ضغطت على أسنانها عندما أصر المتكلم على معرفة رقم هاتف

ديبغو. وعلى مضض أعطته رقم المنزل ورقم المكتب. ثم أضافت:

«كنت على وشك الذهاب لزيارة والدي. لا شك أن بإمكانه أن يشرح

ما يجري من الأمور...»

«لا أنصحك بالمجيء، سينيورا...»

«كيف؟ لن تمنعني من القيام بزيارته؟»

«لا داعي أن تتزعجي، سينيورا راميريز. إن السينيور ترانت... لم يعد

حدّثت لورا بالساعة في توتر وقالت:

«إنني... لا أفهم. لا يمكن أن يكون قد نقل بهذه السرعة؟»

«بلى. لقد ذهب».

احتلها فرح كبير. هي التي كانت تشكو من بطل القانون والعدالة المكسيكية! لقد تحدّث ديبغو مع وزير العدل منذ قليل، وها هو والدها ينقل إلى مكان آخر، ربما إلى مكسيكو، من أجل محاكمته. فقالت قبل أن تضع الساعة جانباً: «شكراً سينيور. شكراً جزيلاً».

لم يطل فرحها إلا لحظة... إن محاكمة والدها وتبرئته، ستؤديان إلى مغادرتها المكسيك أو بالأحرى إلى الطلاق. من الأفضل ألا تفكر في الأمر... إن ديبغو يريد فرنسيسكا.

ومن النافذة ألقت نظرة سريعة إلى الساحة. البحر يرفع أمواجاً عالية، تنقش على الصخر وتظهر رغوة بيضاء. تذكرت لورا أن ديبغو حدّرها من السباحة على هذا الشاطئ الخطر. لكن لماذا لا تذهب لاكتشاف الشاطئ الجنوبي؟ إنها الفرصة الوحيدة. فستغادر الفيلا عما قريب. لا شك أن عليها الانتظار يوماً أو يومين قبل أن تعرف إلى أين نقل والدها.

أخرجت من أحد الجوارير زي سباحة. لا داعي للقبعة، فستحتتمي تحت أشجار جوز الهند العالية.

دقّت الجرس لجوانيتا التي حضرت في الحال.

«لن اتناول الشاي في المنزل، فقد قرّرت الذهاب إلى شاطئ البحر».

وسأخذ معي عصير الليمون».

سألتهما الخادمة وهي معجبة بقامتها النحيفة الطاهرة تحت سترة البحر القصيرة:

«ألن تأخذي السيارة؟»

قالت لورا وهي تبحث عن كتاب صغير بدأت قراءته في الطائرة:

«لقد غيرت رأيي في الأمر».

«هل هناك شيء خطراً؟»

فوجئت لورا والتفتت نحوها.

«المكالمة الهاتفية... الشرطة...»

«أه لا. لا شيء». كانوا يريدون أن يتكلّموا مع السينيور ديبغو. وشرحت لهم أين يستطيعون الاتصال به. «هكذا إذا».

اطمأنت جوانيتا وذهبت إلى المطبخ تعدّ العصير المطلوب، بينما كانت لورا تضع داخل حقيبة البحر، منشفة وكتاباً وأنبوب زيت. ثم حملت الحقيبة على كتفها وتوجّهت إلى الشاطئ.

سبحت لورا طويلاً في مياه البحر الفاترة، ومن وقت إلى آخر كانت تعوم على ظهرها في فرح، مغمضة العينين.

وبعد نصف ساعة من السباحة، عادت إلى الشاطئ الرملي حيث إربق العصير المثلج في انتظارها. تمدّدت على بساط البحر وراحت تشرب العصير ببطء وهي تتأمل المنظر الرائع الذي لن تراه بعد الآن. وكانت تحاول أن تحفر في ذاكرتها الرمل الناعم الأبيض والبحر

الأزرق والأخضر، وأشجار جوز الهند العديدة المحملة بالثمار الناضجة تحت الأوراق الخضراء الغامقة.

ثم تمددت وأغمضت عينيها تحت أشعة الشمس البراقة.

فجأة مر ظل بيتها وبين الشمس، فخفق قلبها بسرعة وفتحت عينيها. ولثانية اعتقدت أنها ترى ديبغو في قميصه البيضاء القطنية وينظرونه الجينز الضيق. فجأة شعرت بصدمة عندما شاهدت غييارمو.

سألته وهي تنتصب في حركة سريعة محاولة تناول سترتها: «ماذا تفعل هنا؟»

«ارسلني جوانيتا لأرى ما إذا كنت بحاجة إلى شيء ما».

«لا تبدأ في سرد القصص! لدي كل ما أريد وتعرف جوانيتا ذلك تماماً».

انحنى غييارمو ليجلس قريبا، ثم نظر إليها بوقاحة قائلاً:

«لا شك أنها لاحظت مثلي بعض الأشياء. لقد تزوج السينيور ديبغو من امرأة جميلة جداً يمكن أن يفتخر بها أي رجل. ومع ذلك فهو يبتعد عنها زارعاً الحزن في عينيها. إنني أعرف ذلك يا سينيورا. لقد سبق وقرأت هذا التعبير على وجه النساء اللواتي يأتين إلى أكابولكو من دون أزواجهن».

قفزت لورا واقفة وقالت في غضب:

«لا أستغرب ذلك. لكنك تعتبرني مثل السانحات اللواتي تلتقيهن على الشاطئ، إذا قلت لزوجي...»

همس غييارمو بصوت شهواني مقنع:

«لا حاجة لك لأن تقولي له شيئاً؟ إنني أعرف أن أجعل النساء سعيدات، يا سينيورا، ويمكنك أن تثقي بي تماماً».

صرخت لورا:

«إذا كنت مصراً على الاستمرار في موقفك فسانادي كارلوس».

لكنها قبل أن تنفذ ما هدّدت به، أمسكها غييارمو بذراعها وجذبها بشدة نحوه ضاعطاً بيده على فمها حتى يمنعها من الصراخ. راحت تقاومه بصمت. كانت تقاوم بكل قواها وتمكّنت للحظة من أن تفلت من قبضته، وفتحت فمها لتصرخ، لكنه ارتقى عليها مانعاً مقاومتها وشعرت بالغشيان أملة أن يأتي كارلوس أو جوانيتا لينقذاها.

كادت أن تفقد وعيها تحت قوّة جسده عندما وجدت نفسها فجأة تسقط على ركبتها وقد ابتعد عنها غييارمو والدم ينزف من أنفه. وسرعان ما سمعت شتائم بالاسبانية مما جعلها ترفع رأسها. إنه ديبغو، يرتدي بذلة الصباح، وكان شاحب اللون من الغضب. ارتقت بين ذراعيه وراحت تبكي وتنتحب: «آه، ديبغو! إنني خائفة جداً».

التفت ديبغو ليلقي نظرة إلى خادمه ثم صرخ:

«اختف من هنا في الحال، سأراك في السفينة بعد قليل».

ثم التفت إلى لورا وحذّجها بنظرة غاضبة بينما كانت ترتجف بين ذراعيه. فقال وهو يبعدها عنه في حنان:

«إنّ منظرك غير لائق وردة فعل هذا الولد عند رؤيته امرأة جميلة نصف عارية على شاطئ مهجور، ليست مستغربة».

أجابته لورا وقد استشاطت غضباً:
«بلادك بلاد البرابرة».

كان ديبغو يحدّق فيها بنظرات غريبة وتساءلت في قلق ماذا يدور في خلده في الوقت الحاضر. وعندما رآته يخلع سترته وربطة عنقه ويفك أزرار قميصه، ثأبت وسألته:
«ماذا تفعل؟»

«هذا طبيعي، أليس كذلك؟ هذا سيعلمك كيف تثيرين الرجال. لست سوى امرأة مثيرة».

ألقى بشيابه جانباً. ركضت لورا نحو السلم الحجري، لكن ديبغو لحق بها وحملها بين ذراعيه. تلاشت وحدّت فيه متوسلة. صحيح أنها أرادت ديبغو وتريده دائماً، لكنها لا تريد علاقة ناتجة عن غضب ورغبة بحتة. وقبل كل هذا كيف تنسى المرأة المكسيكية السمراء، فرانسيسكا...؟
همست:

«ديبغو، لا، أرجوك!»

تصرّف كأنه لم يسمع شيئاً. وضعها في لطف على أريكة الشاطئ. وراح يتأمل جسمها الجميل المرتعش وهي كانت تقول:
«ديبغو، لا...»

لكن عينيه كانت تقولان أشياء جعلتها تتخلى على أية مقاومة وتستسلم. قال وهو يعانقها:
«لم أعد استطيع احتمال تهربك».

ليس هناك كلمات تستطيع أن تصف الأحاسيس التي شعرت بها

من جراء مداعباته البارعة. كانت تداعبه بشعره الأسود وتلثم عنقه. بعد هذه اللحظات الرائعة التي عاشتها، رفعت عينيها الخضراوين البرائتين وشاهدته ينظر إليها، بسحر وبهمس وكأنه لا يصدّق:
«يا إلهي. لقد أكّدت لي أن... أوه... برانت وأنت...»
«أه، ديبغو، هذا لأنه... لم أكن أعني تماماً... انني...»

وبينما كانت تحاول أن تشرح له بصعوبة، أنها كانت تقاوم منذ البداية هذا الحب الذي كانت ترفض الاعتراف به، كانت تسمع عويل الرياح في أوراق شجرة جوز الهند التي كانت تحميتها من أشعة الشمس. ولبرهة قصيرة شاهدت ديبغو يرفع رأسه فجأة في استغراب ويمدّ يده في حركة دفاع... ثم تلقت صدمة عنيفة أفقدتها وعيها.

١٠ - عتمة الذاكرة

فتحت لورا عينيها وكان أول ما لمحته زهور البنفسج الرائحة.
مضى وقت طويل قبل أن تلمح من بعيد شبحاً أبيض كأنه ضباب
كثيف.

أرادت أن تصرخ، لكن الصوت لم يخرج من حلقها الجاف. إن مثل
هذا الجهد البسيط كاف لأن يحفر دماغها في ألم عميق. وبشبه غيبوبة
راحت تنتحب.

همس صوت في لغة لم تعرف ما هي برغم أنها فهمت المعنى من
دون صعوبة:

«شكراً يا إلهي! هل تريدني شيئاً ما، يا ابنتي؟»

قالت لورا في صوت ثقيل إنها تشعر بالعطش. فاخفتت الممرضة
لتعود حاملة قدحاً مليئاً بعصير البرتقال المثلج وقالت:

«سيفرح زوجك كثيراً لأنك استعدت وعيك».

أجابت لورا مقطبة الحاجبين:

«طبعاً، يا صغيرتي. إنه قلق عليك».

«زوجي هل أنا متزوجة؟»

وكان الممرضة تذكرت أن لورا لا تعرف اللغة الأسبانية، فقالت

لها بالانكليزية:

«سأزف اليه الخبر السار وأطلب منه أن يحضر لرؤيتك».

«انتظري، أرجوك، من ستحضرين... إنني لا أتذكر أحداً»

«أنت زوجة السينيور راميريز. وهو شخصية بارزة في المكسيك».

المكسيك... ماذا تفعل هنا في المكسيك؟ هل هي متزوجة من رجل

مكسيكي؟

أضافت الممرضة:

«تعرفت لحادث على الشاطئ القريب من فيللا جاسينتا».

حادث؟ في فيللا جاسينتا. هزت لورا رأسها في حيرة وارتباك.

ومن جديد عاد الألم العنيف يعصر صدغيها.

«إنني... إنني لا أتذكر شيئاً»

«لا تقلقي، سينيورا. هذا شيء طبيعي بعد صدمة كهذه. لا تتحركي

سأقول لزوجك إنك استعدت وعيك»

وضعت لورا يدها على أكتاف الممرضة وهمست:

«أرجوك. أخبريني أولاً عن الحادث».

أن تلتقي زوجاً لا تعرفه فكرة ترعبها. من هو؟ من يشبه؟ ما عمره؟

وهي، من هي؟

«كنت ممددة على الشاطئ، سينيورا، تحت شجرة جوز الهند المحملة

بالبهار الناضجة. إن ثمرة واحدة بإمكانها أن تحطم رأسك...»

«و... هذا ما حدث لي؟»

«من حسن حظك أن زوجك كان معك في هذه اللحظة. وقد تمكن أن

يخفف من حدة الصدمة. والآن سينيورا، سأذهب لأتي به. لم نستطع

أن نقنعه إلا اليوم بأن يخلد الى الراحة. لكننا وعدناه بأن نوقظه متى استعدت وعيك».

وعندما اختفت المريضة راحت تحاول التركيز تلاحقها عشرات الاسئلة التي لا تعرف لها جواباً. منذ متى وهي متزوجة من مكسيكي؟ لا شك أنه يحبها كثيراً لأنه رفض أن يبتعد عنها... كان عليها أن تطلب من المريضة مرأة قبل أن تدعها تذهب لتأتي به. لا تعرف كيف ملائحتها. هل لون عينيها أزرق أم أسود. رفعت يدها لتلمس خصلة من شعرها لمعرفة لون شعرها. لكن شعرها كان مخفياً وراء ضفادات تلف كل رأسها. وعندما لمست جبينها، شعرت بألم عنيف.

فجأة، انتفضت. فقد دخل الى غرفتها وبقي جامداً قرب السرير. كان ممشوق القامة، أسود الشعر، أسمر البشرة، في الثلاثين من العمر، يرتدي قميصاً بأكمام قصيرة وينظرون جينز ووجهه متعباً. كان ينظر اليها في قلق ويهمس في صوت مبحوح وهو يضع يده على يدها: «لورا».

هكذا اذاً، إنها تدعى لورا. اعجبها الاسم. وما اسم زوجها. قالت لها المريضة منذ قليل عن اسمه. أه صحيح...

فهمست:

«دييغو».

سألها وفي عينيها ومضة أمل:

«هل عرفتيني، يا حبيبتي»

هزت رأسها قليلاً وقالت:

«المريضة هي التي أعطتني اسمك»

ولاحظت الضفادات التي تحيط بمعصم زوجها، فسألته:

«هل جرحت؟»

«هذا لا شيء»

«هل حصل هذا في الحادث الذي تعرضت أنا اليه. لقد قيل لي إنك خففت من حدة الصدمة وإلا لكنت الآن من عداد الأموات...»

«هذا الحادث هو بسببي أنا. وغلطتي لا تغتفر. كان علي أن أعرف...» توقفت عن الكلام وجلس على السرير. إن دماغ لورا يرفض أن يعمل بصورة طبيعية. لم تحاول أن تعرف ماذا يعني في كلامه. فقالت بصوت خافت:

«منذ متى وأنا غائبة عن الوعي؟»

«منذ ثلاثة أيام».

أخفض رأسه فإذا بلورا تشد على قبضته وتقول بلطف: «إذا لا شك أنك مرهق جداً. قالت لي المريضة إنك لم تبارح غرفتي طيلة هذا الوقت».

«سيحضر الطبيب قريباً جداً. وسأراك بعد أن ينتهي من معالجتك».

توقعت أن ينحني ليقبلها. لكنه ابتعد في خطى سريعة تاركاً أياها في خضم الحيرة والقلق.

لماذا يبدو هذا الزوج الذي أشرف على الاعتناء بها ثلاثة أيام متوالية مستعجلاً في التخلي عنها؟

كانت لورا تنثر فتات الخبز وهي تتناول فطور الصباح على الشرفة المليئة بالزهور وهي تنظر في حنان الى العصافير الصغيرة المتعددة الألوان التي حومت حول المائدة لتلتقط كسرات الخبز في فرح.

قال لها ديفغو في توبيخ ناعم:

«إنك تدلّين العصافير يا حبيبتي»

«إنها عصافير جميلة».

عادت للجلوس قرب زوجها وتناولت أبريق القهوة وقالت:

«إنها كالأولاد الصغار، لا نستطيع أن نرفض لهم أي شيء، هل تريد؟»

سألها وهو ينتفض:

«ماذا. أريد ماذا؟ أولاد».

«لا. يا حبيبتي، هل تريد بعض القهوة؟»

«آه. نعم. بكل سرور...»

ثم عادت تقول وهي تسكب له فنجان قهوة:

«إنجاب الأولاد فكرة حسنة، أليس كذلك؟ ما رأيك؟»

قطب حاجبيه وقال:

«لقد اتفقنا على أن نتجاهل هذا الموضوع، في الوقت الحاضر، إلى أن

تتحسن صحتك».

تناول ديفغو سيكاراً وأشعله فأجابت لورا قائلة:

«نعم، كنت متفقة معك على هذه الفكرة، لكن...»

نهضت بعصبية وأسندت ظهرها إلى حجارة الشرفة وحدقت في المنظر

الرائع أمامها. ثم أضافت تقول:

«ديفغو؟»

«نعم؟»

«لنفرض أنني لن استعيد ذاكرتي أبداً؟»

«الأطباء يعرفون تماماً أن حالتك ستتحسن، لكنها بحاجة إلى بعض

الوقت».

انفجرت صارخة:

«الوقت لقد مر شهران وأنا على هذه الحال! لم استعد من الذكريات إلا

صورة اليخت الراسي على الشاطئ»، وصورة الراهبات في ذلك الدير».

قال ديفغو في حذر وهو ينتفض رماد سيكاره في المنفضة:

«لقد ترعرت وتعلّمت في الدير».

«لماذا لا تساعدني لأستعيد ذكرياتي وبالتالي ذاكرتي كلها».

نهض ديفغو متجهاً نحوها ثم وضع أصابعه على ذراعها وقال:

«نصحتني الأطباء بالآ استعجل الأمور. وأنت تعرفين ذلك جيداً. من

الأفضل أن تستعدي ذاكرتك بصورة طبيعية».

«وهل نصحك الأطباء أيضاً بأن تنام في غرفة منفصلة عن غرفتي؟»

كانت تنظر إليه في تحد. فشاهدت تقلص وجهه حين قال بعد أن

سحب يده من ذراعها:

«لا. هذا القرار اتخذته بنفسني. يجب أن أذهب الآن كيلا تفوتني الطائرة

لدي مواعيد كثيرة بعد ظهر اليوم في مكسيكو»

تبعته حتى الغرفة التي ينام فيها وقالت:

«ألا يمكنكني أن أرافقك، ولو لمرة واحدة».

التفت ديفغو إليها وهو يضع أوراقه داخل حقيبة سفره وكان

يبدو منزعجاً:

«من الأفضل أن تبقى هنا بعض الوقت ريثما تتحسن صحتك».

ليست المرة الأولى منذ الحادث يرفض فيها طلبها. وفجأة قالت

بغضب:

«هنا، أليس كذلك؟ وهكذا لا يتسنى لي أن أرى عشيقتك»

أغلق حقيبته واقترب منها وقال في جفاف:

«إنني أذهب الى مكسيكو لأداء بعض الأعمال. وليست لدي أية عشيقة. فانتزعي هذه الفكرة من رأسك».

هذا العذر، هل سبق وسمعته قبل الحادث؟ كيف لها أن تعرف إنها ترغب في أن تسد أذنيها كيلا تسمع أي شيء بعد الآن... هل باستطاعة ثمرة جوز الهند أن تززع دماغها الى هذه الدرجة؟ هل كان ديبغو دائماً يتصرف معها كصديق أكثر منه زوجاً؟ لا. هذا مستحيل. فهي تشعر كأنها كانتا متفقين ومندمجين روحياً وجسدياً.

همست لورا في الوقت الذي كان ديبغو يقترب منها كالعادة ويقبلها في جبينها:

«ديبغو...»

«ماذا؟»

«ألا تعتقد أن صحتي تتحسن بسرعة لو... لو... كانت علاقتنا طبيعية مثل قبل الحادث إنني متأكدة من ذلك».

غمز بعينه وهو يتأمل وجهها الأحمر وسألها فجأة:

«كيف تعرفين ذلك؟»

«كيف؟ لكنني أشعر بذلك. أنت زوجي. وماذا يمنعني من أكون طبيعية معك؟»

صمت برهة ثم أطلق زفرة عميقة وقال بصوت حنون وهو يداعب شعرها:

«ما من أحد يستطيع منعك. وأنا أيضاً، يا لورا، كنت أرغب في ذلك.

لم يكن سهلاً مقاومة رغبتني باللاحاق بك الى غرفتك».

صرخت:

«لا أفهم. ليس هناك أي خطر. أنني بصحة جيدة. اذاً، لماذا؟»

«سنبحث الأمر، بعد عودتي...»

إنها تعرف ديبغو الآن بما فيه الكفاية. وتعرف أنه متى اتخذ قراراً ما، فلن يعود عنه بسهولة.

عندما أصبحت لوحدها، راحت تفكر بمصيرها. وحده زوجها يمكنه أن ينسيها الشكوك التي تراودها باستمرار منذ وقوع الحادث. لقد أخبرها ديبغو أنها فقدت والديها. لكن لا بد أن لها قصة، أو مهنة، أو أصدقاء، أو معارف، أو أقرباء... لا أحد يعرف عنها شيئاً. لا شك أنها انفصلت عن الجميع بعدما تزوجت. أه لو يساعدنا زوجها على إعادتها الى الطريق الصحيح بدل أن تكتفي بانتظار مشيئة القدر!

شعرت بالتعب فتمددت على السرير الضخم الذي يشعرها بالضيق طيلة الليل. وراح عقلها يشتغل بقوة. هل لدى ديبغو عشيقة في مكسيكو؟ وتذكرت أنها قرأت مرة أن المكسيكيين ليسوا مخلصين لزوجاتهم. و ديبغو هو رجل جذاب ومثير. وقليلات من النساء القادرات على مقاومته.

الدير. إنه الماضي. إنها الآن متزوجة! وهي تحب زوجها. وهل هناك ما هو أفضل من ذلك الحب. إن ثمة طرقاً تساعدنا على ائتمانه بضرورة مشاركتها حبها. نعم. ستحاول أن تجذبه اليها بطريقة أو بأخرى.

في الأيام الثلاثة التي تلت ذهاب ديبغو عملت لورا بكل

نشاط وحيوية. ومساء عودته كانت الفيلا على استعداد لاستقباله.
وضعت لورا على الطاولة شمعداناً يضيء المكان. وكانت لورا
تبدو في شعرها الأشقر المنسدل على كتفها وفستانها الأبيض الضيق،
في أناقة وجمال تامين.

وبعدما ألقت نظرة خاطفة على الطاولة، نظرت بعينين برّاقتين إلى
الخادمة وقالت:

«عندما يصل السينيور ديبغو، نأخذ المقبلات في الصالون الصغير.
وسيكون أمامك متسع من الوقت لأن تنهي العشاء».

قالت لها المرأة في فرح:

«لا تقلقي يا سينيورا. إن السينيور يقول لي دائماً أنه سيصطحبني
يوماً ما إلى مكسيكو لأعلم الطاهي الفرنسي أعداد المأكلات
المكسيكية».

وفي تلك اللحظة، دق جرس الهاتف، فتناولته جوانيتا من المطبخ.
قالت لورا لنفسها: كل شيء جاهز لهذه الليلة التي ستكون مليئة
بالسحر والاثارة، الأضواء الناعسة... الطعام المفضل... تريد أن تفعل
أي شيء كي تنقذ زوجها من براثن عشيقته.

قالت جوانيتا وهي على عتبة غرفة الطعام:
«المكالمات لك. إنه السينيور ديبغو».

«هل يريد أن استقبله في المطارة؟»

«إنه يتكلم من مكسيكو يا سينيورا».

جفت حلق لورا ورفعت الساعة وقالت:

«ديبغو، ماذا جرى؟ هل أنت متأخر؟»

«إنني أسف يا حبيبتي، لن أستطيع الحضور هذا المساء».

«أه، لكن كل شيء جاهز... كنت انتظرك...»

«إنني أسف. هناك أعمال مهمة على الاهتمام بها شخصياً... سأصل بعد
ظهر الأحد، من دون شك».

فقالت في ذهول:

«الأحد إلى اللقاء يوم الأحد»

«لدي مواعيد مساء اليوم وطيلة يوم غد. إن المكسيكيين مشهورون
بأنهم يفضلون العمل على اللهو والمرح، وسوف أجاريهم هذه المرة،
برغم... شوقي اليك...»

قالت لورا وهي تعض على شفتيها:

«حسناً، أذاً... إلى... يوم الأحد»

«أعدك بذلك وسأتصل بك في حال حدوث أي تغيير».

لكن لورا لم تعد تسمع شيئاً. كانت تفكر بالمكالمة الهاتفية. هل
كان ديبغو غير قادر على المجيء أم أنه لم يكن يريد ذلك؟ ماذا
وراء كل هذه المواعيد؟ هل هناك امرأة أخرى في حياته؟

مكالمته الهاتفية في اليوم التالي التي أخبر لورا فيها أنه سيؤخر
عودته ثمان وأربعين ساعة أخرى، بدأت تؤكد شكوكها. فقال ديبغو:
«لدي مواعيد مهمة جداً يوم الاثنين ويوم الثلاثاء. وبالتالي لا يسعني
الوصول قبل مساء الثلاثاء. لكنني أنوي قضاء الأسبوع كله معك في
الفيلا».

فقالت له في صوت جاف قبل أن تقفل الخط في وجهه:

«لا تقلق عليّ. أرجو أن تمضي عطلة جميلة مع عشيقتك»

أه لو تستطيع أن تتحمل هذا الوضع أين يمكنها أن تذهب؟ بمن
تستطيع الاتصال؟ إن فقدانها الذاكرة يمنعها من مغادرة هذا السجن
الذهبي: فيللا جاسيتا.

كانت أحلامها مهددة برؤية امرأة سمراء يمضي ديبغو معها أيامه
في مكسيكو لماذا تزوجها إذاً، هي، الشقراء، النحيفة، المختلف جمالها
عن الجمال المكسيكي؟ حاولت أن تجد تفسيراً. لكن ذكرياتها تهرب
منها. ربما كان زواجهما على وشك الانهيار قبل الحادث؟ وهذا يفسر
تهرب ديبغو منها.

يوم الاثنين، أي قبل عودة ديبغو بيوم واحد، عادت الى لورا
ذاكرتها في طريقة صاعقة وغير منتظرة.
«سينيورا! هناك زائر».

كانت منغمسة في رسم العصافير الملونة المتجمعة حول فتات الخبز،
فلم تأبه في البدء لهذا النداء. لقد نصحتها ديبغو بأن تلجأ الى الرسم
حتى لا تضجر خلال فترة غيابه عن الفيلا. وكان ذلك اكتشاف
جميل. عندما ترسم تنسى كل شيء.

رددت جوانيتا قائلة:

«سينيورا، لديك زائر...»

فقاطعتها صوت رجل قائلاً:

«لا تقلقي. سأكلم الأنسة ترانت بنفسي. أه عفوا... السينيورا
راميريز...»

قطبت جبينها وهي ترى الزائر يقترب منها. يبدو أنه اميركي. لماذا
ناداها بادیء الأمر؟ الأنسة ترانت... لكن... ربما سيكون قادراً على أن

يوضح لها شيئاً عن ماضيها.

قالت لورا وهي ترمق زائرهما بنظرة متسائلة:

«حسناً، يا جوانيتا. سأستقبل السيد... السيد... أوه...؟»

«لورا! هذا أنا... برانت لا تقولي إنك نسيت من أكون!»

خيبة الأمل ضغطت على قلب المرأة. هذا الرجل الجميل المظهر ذو
الشعر الكستنائي، مجهول تماماً بالنسبة إليها.

قالت لجوانيتا وهي تمسح أصابعها المليئة بالدهان:
«إجلبي لنا القهوة».

ثم قالت لزائرها:

«أسفة. إنني لا أعرفك...»

«أسخرين مني؟ أنا برانت! كنا مخطوبين، ألا تذكرين. لكنني بدأت
أفهم لماذا تخلّيت عني، من أجل هذا المكسيكي راميريز».
تلعثت من دون أن تتوقف لحظة عن النظر اليه بامعان:
«أنا، أنا التي هجرتك؟»

ثم لاحظت أن جوانيتا ما زالت مكانها، فرمقتها بنظرة جافة
وقالت لها:

«جوانيتا، طلبت منك اعداد القهوة».

أجابت المرأة المكسيكية قبل أن تبتعد:

«نعم. نعم. يا سينيورا».

قالت لورا بلباقة وهي تجلس في مقعد من القش:

«اجلس. إن جوانيتا ترعاني منذ الحادث».

الحادث؟ أي حادث؟

«إنها قصة تافهة. كنت ممددة على الشاطئ تحت شجرة جوز الهند. فوقعت حبة من الشجرة وأصابنتني في جبينى. ومنذ ذلك الوقت وأنا فاقدة الذاكرة كلياً».

جلس الرجل على المقعد شاحب اللون وسأها وهو يحدق في عينيها:
«هل صحيح أنك لا تتذكرين أي شيء؟»

«لا شيء أو تقريباً. أحياناً قليلة أرى صوراً تنبعث من الماضي... ويؤكد الأطباء أنني سأستعيد ذاكرتي مع مرور الزمن، لكن...»

تردّدت. هل بإمكانها أن تسأل هذا الرجل الذي كان يعرفها جيداً شيئاً عن ماضيها؟

فقال برانت:

«غريب. إنك لا تتذكريننى».

لم تجب. فقد جاءت جوانيتا لتضع الصينية على الطاولة وتبتعد.
«يا لورا. كنا على وشك الزواج... وهذا أمر لا يمكن لانسان أن ينساه».

سألته لورا وهي تسكب القهوة:

«هل تزوجت من ديبغو قبل أن أفسخ خطبتي منك؟»

«كلا. لقد أرسلت لي خاتم الخطبة وقلت لي إنك واقعة في غرام هذا الرجل».

«إننى أشعر بأننى أحببت ديبغو منذ اللحظة التى رأيته فيها. انه...»
أنهى برانت كلامها:

«غنى؟»

تقلّصت لورا. ماذا يعنى بذلك؟ هل يعنى أنها فتاة انتهازية؟

«نعم. إنه غنى جداً».

«وذو نفوذ. أعرف ذلك. ومع ذلك ترك والدك يموت في أحد السجون المكسيكية! أي نوع من الرجال هو؟ إننى أرى أن...»

لكن لورا لم تعد تسمع صوته. فقد استعادت ذاكرتها. فجأة كان رأسها يدق كالطبل وكذلك أذناها.

والدها... دان ترانت... تخيلت وجهه الرمادى، في زنزانة معتمة. وأمامه طاولة وضعت عليها الأباريق والزجاجات. وسمعت صوت والدها رافعاً كأسه ويقول:

«ليكن زواجك سعيداً مثل زواجي...»

انتصبت ورفست بعنف مقعدها الذى سقط وراحت تصرخ مثل

حيوان جريح:

«أبى! أبى! أبى!...»

ثم غابت عن الوعي.

تمكنت من الاتصال بزوجي؟»

«نعم، سينيورا. تقريباً... لم أتمكن من التحدث إليه شخصياً. تركت له رسالة مع مدير الفندق الذي كان عليه أن يتصل به عند السينيورا فرانسيسكا بوردي، حيث كان معها في زيارة عمل.»

زيارة عمل... صورة ممزقة نصف منسية برقت فجأة في مخيلة لورا. وتذكرت وجه ديفغو الأسمر المنحني فوق وجه فرانسيسكا المليء بالدموع. لم يكن من الصعب تخيل نوعية الأعمال التي يقوم بها ديفغو مع هذه الأرملة الشابة السراء...

قالت لورا كاذبة:

«إنني بحاجة إلى النوم الآن.»

«أخاف أن أتركك، يا سينيورا. إن السينيور ديفغو...»

«أنا في حالة جيدة، يا جوانيتا. لا تقلقي علي. إنني بحاجة إلى قليل من الراحة.»

«ألا تريد شيئاً ما، يا سينيورا؟»

«لا، شكراً. لا أريد أن يزعجني أحد.»

لكنها لم تتوقف عن التفكير. كانت تستعيد الذكريات، الواحدة بعد الأخرى. كل حوادث حياتها الماضية تعود شيئاً فشيئاً إلى مكانها. وعندما تذكرت موت والدها في السجن المكسيكي، بدأت الدموع تنهمر من عينيها. هل اعتقاله هو السبب الرئيسي لموته؟ لم تنس لورا العشاء الذي تناولته برفقته في مطعم الميرادور. في ذلك المساء لاحظت ملامح وجهه المشدود، كان قد فقد حيويته العادية. «إنني أتساءل ما إذا كان قلبي يتحمل هذا النوع من الانفعال»، هذا ما قاله لها وهما

١١ - وتآلق القلب

لاح نور خفيف من وراء الستائر عندما فتحت لورا عينيها. وانحنى جوانيتا الجالسة في كرسي قرب السرير، نحو الوجه الذي بدأ يستعيد لونه. فابتسمت لورا قليلاً، وانفجرت الحادمة بالبكاء وقالت وهي تمسك بذراعها الممددة على الغطاء:

«أه، سينيورا. ما كان ينبغي أن أسمع لهذا الرجل بالدخول. أه، لو أدركت أن بإمكانه أن يؤذيك...! ساحبيني، يا سينيورا!»

تمتمت لورا بصوت مرتجف:

«لست مخطئة، يا جوانيتا. في كل حال، لم يقصد برانت إيذائي. ما... ما قاله لي أعاد لي الذاكرة بصورة صاعقة. وانفجر رأسي. هذا كل ما حدث.»

ضغطت جوانيتا بيديها على صدغيها ونظرت إلى لورا بخوف وقالت:

«سيغضب السينيور ديفغو مني كثيراً. سيقول لي أنتي...»

قاطعتها لورا قائلة:

«لا تخافي، يا جوانيتا. سأقول إن برانت دخل بالقوة... أوه... هل

يشاهدان الغطاسين يقفزون من أعالي الصخور. لقد اعتبرت هذا التعليق بمثابة مزحة. هل كان دان حينذاك مصاباً بمرض القلب. فجاء السجن ليعقد له الأمور. وتذكّرت لورا وجهه الرمادي الشاحب خلال زياراتها العديدة له في السجن. كانت تعتبر ذلك ناتجاً عن الجو المشحون داخل الزنزانة وابتعاده عن الشمس والهواء والحرية. وبرغم كل الاهتمام الذي كان ديبغو يولييه لعمه، لم ينجح في إعطائه الحرية التي كان يرغب فيها قبل أي شيء آخر.

وأخذت الأفكار تعود باتجاه ديبغو... الى يوم الحادث، الى الشاطئ.. كيف نسيت تلك اللحظات السعيدة مع ديبغو؟ راحت تتذكر ديبغو منحنيّاً فوقها يداعبها بحنان فائق.

كل شيء يعود الآن الى ذاكرتها في دقة تامة، جاعلاً إياها مرهقة ومتلاشية. في تلك المرحلة كانت تعرف أن زواجهما كان مهدداً. فقد قبل ديبغو فكرة فسخ الزواج. ثم... فرانسيسكا، المرأة السمراء الجذابة، ظهرت في المشهد بصورة مباغتة. لماذا تعلق ديبغو بهذه المرأة الأميركية المتحررة وهو الذي يتمتع بعقلية مكسيكية متعصبة؟

لكن حصل ما حصل على الشاطئ.. وعرف ديبغو أنها كذبت عليه ليلة عرسهما تاركة إياه يعتقد بأنها ويراقت كانا عاشقين... فجأة شعرت بانتفاضة في كل أنحاء جسمها. في ذلك النهار عندما كانت على الشاطئ.. قبل الحادث، كان ديبغو يعرف تماماً أن والدها مات وإذا كان قد عاد باكراً من مكسيكو، فذلك لأنه تلقى المكالمات الهاتفية من رئيس شرطة أكابولكو. لماذا أحبها في هذا النهار بالذات؟

كان والدها قد مات. ولا شيء يمنع فسخ الزواج. فكان حراً بأن يتزوج فرانسيسكا عندما يتم فسخ الزواج. هل لأنه فاجأ غييارمو معها أحسن برغبة عنيفة في أن يجعلها زوجته في الحال. مهما كان الأمر، كان تصرفه وقحاً وهو يعرف أن والدها مات.

نهضت من السرير وأسرعت الى خزانة. وبسرعة أخرجت حقيبتها الجلدية الحمراء وراحت تضع حاجياتها وهي تفكر بعصبية واضطراب. أين.. تستطيع الذهاب في أكابولكو من دون أن يكتشف ديبغو مكانها ويعيدها الى الفيللا؟ إن الندم جعله يعتني بها عناية كبيرة منذ الحادث. وهي تفهم الآن لماذا كان ينتظر بصبر أن تستعيد ذاكرتها بصورة طبيعية. ربما كان يأمل بالأشياء تماماً في كل حال. ألا يتمتع ديبغو بحياة ذهبية؟ لديه زوجة وديعة وطيعة مدفونة في فيللا جاسيتا، وعشيقة ملتزمة في مكسيكو؟

أقفلت حقيبتها ونظرت الى حقيبتها يدها. لديها من المال ما يكفي لأن تمضي بضعة أيام في فندق من الدرجة الثانية قبل أن تستقل الطائرة الى لوس انجلوس. إنها لا تريد مغادرة أكابولكو قبل أن تعرف أين دفنوا والدها. كانت أمنيته أن يُدفن قرب زوجته، وستحاول أن تنقل جثمانه الى مدافن لوس انجلوس حيث ترقد والدتها.

هل ما زال برانت هنا في أكابولكو؟ ربما، لكنه ينزل ولا شك في أحد الفنادق الفخمة التي تحيط الخليج. ولا مجال للورا لأن تذهب للبحث عنه هناك، حيث يمكن لديبغو أن يكتشفها بسهولة... لا... من الأفضل أن تنزل في فندق متواضع يقع على أحد التلال البعيدة عن الشاطئ.. وهناك يمكنها أن تمضي وقتها من دون أن يلاحظ أحد

لم تجد أية صعوبة في صف السيارة في المطار والمرور بين مجموعة كبيرة من السياح الآتين من مكسيكو. لكن الأمور تعقدت فجأة عندما لمحت شبح ديبغو الذي كان يرتدي بذلة رمادية شاهده يرفع يده ليقف سيارة أجرة. ثم يدخل إليها وينظر في تقلص أمامه. إنه يستحق ما يحصل له الآن. ماذا أخير فرانسيسكا؟ عندما قرأ رسالتها، لا شك أنه كان بين ذراعي هذه المرأة السمراء.

«سينيورا»

توقفت سيارة تاكسي أمامها.

«أين تذهبين؟»

«إنني أبحث عن فندق صغير في حي أكابولكو القديم».

قادها السائق الى التلال العالية وتوقف أمام بناء مؤلف من أربعة طوابق. وقال:

«إنه فندق روزاريو. سأسأل إذا كان ثمة غرفة فارغة. هل تريدن غرفة بسرير واحد؟»

«نعم، ولبضعة أيام فقط».

دخل السائق الى الفندق وفهمت لورا أنها ستدفع مبلغاً ضخماً للحصول على هذه الغرفة وأن السائق سيقبض عمولة. هزت كتفها في استياء وقالت إن هذه الأمور ليست مهمة في الوقت الحاضر. المهم هو أن تبتعد عن ديبغو الذي لن يخطئ في باله أنها تقيم في مثل هذا المكان. كما أنه إذا رأى سيارته في المطار سيفكر في الحال أنها استقلت الطائرة الى كاليفورنيا ولن يفكر في البحث عنها في مدينة

ظهر السائق أخيراً:

«هناك غرفة واحدة، يا سينيورا وسعرها مرتفع».

احمرت لورا غضباً عندما عرفت القيمة المتوجب عليها أن تدفعها. إن شقتها الصغيرة في بانوراما تكلف السعر نفسه. لكن ليس أمامها خيار آخر. أومأت اليه موافقة. وهبطت من سيارة التاكسي بينما أخرج السائق حقيبتها من الصندوق. رائحة العفن تتصاعد من البهو ولدى دخولها انحنى صاحب الفندق السمين وابتسم لدى توقيعها على السجل. فقد وقعت باسم والدتها قبل الزواج: بربارة فوريس.

صعدت الى الغرفة في الطابق الثاني. إنها صغيرة جداً، وفيها مروحة بطيئة، ومغسلة قديمة ومقعدان من القش وخزانة على بابها ستائر باهتة تستعمل في الوقت نفسه كمنضدة للزينة. وفي إحدى الزوايا سرير عريض من الحديد المقشر.

قالت لورا في قرف:

«إنها غالبية الثمن نسبة الى ما تحتويه من أشياء غير مريحة».

فقال صاحب الفندق وهو ينظر اليها في ارتباك ويتأمل ملابسها الأنيقة:

«أه الموسم يا سينيورا. ثم إنك لم تحجزني من قبل...»

«نعم. أعرف. لن أبقى هنا مدة طويلة».

«سأرسل لك حقيبتك بأسرع ما يمكن».

قبل أن يجلب لها الخادم الحقيبة، لاحظت لورا أن السرير يطلق صريراً قوياً وأن المروحة تجلب هواء رطباً رائحته كريهة.

عندما أصبحت لورا وحدها، تمددت على السرير وهي تتصّبب عرقاً وثيابها تلتصق بجسدها. كانت تحدّق بشفرات المروحة. ربما كان من الأفضل لو أنّها ذهبت لتبحث عن برانت لتستدين منه المال لتستأجر غرفة تليق بها. لكن ربما اضطر لأن يطرح عليها اسئلة محرّجة. وربما أقنعها بمنطقه مؤكداً لها أنّ ديبغو لم يعد له حقوق عليها ما دام أرغمها على أن تتزوّجه ابتزازاً.

اغمضت عينها كيلا ترى هذه الغرفة الحقيرة. نعم، قانونياً، ربما لم يعد لديبغو أي حق عليها... لكنها تشعر بأنه يمتلكها جسداً وروحاً... لا يمكنها أبداً أن تمنح رجلاً آخر هذا الحب الممزوج بالشغف. أيقظها دوي الرعد من نوم عميق. ارتعشت ثم نهضت خائفة لوجودها في هذه الغرفة الحقيرة المظلمة. من جديد، سمعت طرقات على الباب. فتقدّمت وهمست بصوت يرتجف وهي تشعل النور:

«من... من هنا؟»

«ديبغو».

ألقت نظرة خاطفة الى الغرفة أملة أن تجد وسيلة للهرب. حينذاك شاهدت حشرات صغيرة تسرع بالانسحاب من السقف وجدران الغرفة وتختبئ في ثقب الخشب والجص. ارتعبت لهذا المنظر وصرخت بأعلى صوتها. وفي الحال سمعت ضربة قوية وصوت الخشب المتحطّم.

دخل ديبغو من الباب وسألها:

«لورا حبيبتي، ماذا جرى؟»

فأشارت لورا باصبعها الى الحشرات ذات القرون الطويلة

المنتشرة هنا وهناك.

جذبها نحوه وأخفى وجهها بصدره وقال بصوت هاديء وهو يداعب شعرها:

«هذا لا شيء، يا حبيبتي. هذه الحشرات الصغيرة غير مؤذية».

هددها لحظة ليهديء من خوفها، ثم أبعدا عنه بلطف وسألها:

«هل أنت مطمئنة الآن؟»

أشارت له برأسها إيجاباً.

سألها وهو يشير الى حقيبتها الحمراء:

«أهذا كل ما لديك من أمتعة؟»

«نعم. لم أكن احتاج إلى أكثر من هذا».

حمل الحقيبة وقال:

«تعال».

كان صاحب الفندق ينتظرهما في المدخل. فقال:

«إنني آسف، يا سينيور راميريز. لم أكن أعرف أنّ السينيورا هي زوجتك...»

«كيف تجرأت على تأجير مثل هذا الكوخ القذرا أحب أن أعرف كم طلبت أجرة لمثل هذا المأجور؟»

أطلعت لورا ديبغو على المبلغ الذي دفعته، فحدّج ديبغو صاحب الفندق بغضب وقال:

«عليك إعادة ثلاثة أرباع المبلغ الذي قبضته، في الحال. والباقي يكفي لتصليح الباب الذي خلعته الآن. إنك تفقد سمعتك بطريقة ذليلة».

راح الرجل يعتذر شارحاً وضعه. ولما أعاد المبلغ، أخذ ديبغو لورا بذراعها وخرجا معاً الى الشارع حيث تنتظرهما سيارة المرسيدس.

صعدا الى السيارة وأقلع بها ديبغو سالكاً اتجاه وسط اكابولكو. ران صمت ثقيل. أخيراً سأله لورا بصوت خفيض من دون أن تحجروه على النظر اليه:

«كيف توصلت الى اكتشاف مكان وجودي؟»

«لم يكن ذلك سحراً. صحيح أنك تركت السيارة في المطار لتوهمني أنك غادرت البلاد. لكنني لم أنخدع بذلك. إني أعرفك جيداً. وأعرف أنك لن تغادري أكابولكو قبل أن تعرفي أين دفن والدك. لقد بحثت عنك في كل فنادق المدينة ابتداء من الفنادق الفخمة. ولما وصلت الى هنا، قرأت اسم والدتك على سجلات فندق روزاريو.

«اسم والدتي؟ كيف عرفت أن هذا الاسم هو اسم والدتي؟ لم أذكره أمامك أبداً»

«قرأته على مقبرتها عندما كانوا يدفنون والدك الى جانبها».

أطلقت زفرة ممزقة.

«لورا حبيبتي، هل تتذكرين... كل شيء؟»

همست بعدما أزاحت وجهها عنه حتى لا يرى الدموع في عينيها: «نعم».

ثم أضافت بصوت متقلب:

«إني سعيدة لأن والدني دفن قرب والدتي. شكراً... على ذلك»
سألها بحسرة:

«لماذا تشكريني على هذا فقط؟ ألم أفعل كل ما في وسعي لأعالجك وأهتم بك بعد الحادث الذي أفقدك الذاكرة؟»
أطلقت ضحكة صفراء وقالت:

«حتى اليوم لم أكن أصدق المثل الذي يقول «إن الجهل هو سلام الحياة». لم تقل لي شيئاً يا ديبغو. ولم تعلمني بموت والدي. ولا أذكر ما تبقى من أحداث عندما يجهل المرء سوء حظه، فلا يتألم من ذلك، أليس هذا صحيحاً؟»

قاطعها بلهجة ساخطة:

«كفى يا لورا! سنستأنف هذا الحديث في المنزل».

المنزل؟ أين منزلها؟ إنها لا تذكر شيئاً عن فيللا جاسينتا ولا عن مسكنها الفخم في مكسيكو. قبل وفاة والدها كان منزلها الحقيقي هو يخته. فماذا حل باليخت؟

وما أن وصلت السيارة الى مدخل فيللا جاسينتا حتى تذكرت لورا فجأة جوانيتا وكارلوس ماذا يقولان عن اختفائها؟ هل هما على علم بالحادث الذي حصل بينها وبين غيبارمو، مباشرة قبل الحادث؟ ربما نعم، لأنها منذ ذلك الحين لم تعد تسمع عنه شيئاً.

استقبلتها جوانيتا الشاحبة اللون قلقاً. وفي صوت خافت حيثها ثم سألت ديبغو ماذا يريد أن يتعنى؟

«أحضري لنا شيئاً. سنتناول العشاء في الصالون الصغير».

شعرت لورا أنها على وشك الانهيار عندما تركها ديبغو في الغرفة الكبيرة التي لم تكن تتصور أنها سترها مرة أخرى. ولكنها بعدما اخذت حماماً فاتراً شعرت بالاسترخاء والارتياح.

كانت جالسة أمام منضدة الزينة تسرح شعرها الأشقر عندما دخل ديبغو الى الغرفة. كان يبدو شديد السمة بقميصه الحريري الأبيض وبنتولونه الأزرق الفاتح. وشعره الأسود السميك الرطب مماساً الى الورا. ولدى رؤية زوجته في قميصها الحريري الأخضر، لم يريق في عينيه الداكتين.

«عندما تصبحين مستعدة، سنتوجه الى الصالون الصغير لنحدث في أمور كثيرة».

قالت وهي تلقي نظرة أخيرة الى المرأة قبل أن تنهض:

«هل أنت متأكد من ذلك. كان يبدو لي أن الامور واضحة بيننا. لقد مات والدي. ولم يعد هناك مبرر لاستمرار زواجنا. لقد وعدتني بأن تعيد لي حريتي».

قال ديبغو:

«إن زواجنا هو الآن أمر واقع. يا حبيبتي. لم يعد بإمكاننا الرجوع الى الورا».

لم تتمكن من إخفاء توترها. فابتعدت وأزاحت الستائر عن النافذة ونظرت الى الليل والقمر الذي كان بدرأ:

«لا شك أن هناك مجالاً لفسخ الزواج...»

انتفضت لدى شعورها بيدي ديبغو تربتان على كتفيها. فلم تسمع صوت خطواته. وسألها:

«لماذا؟ لماذا تحبين أن تعذبيتي؟ ألا يمكننا أن نعيش سعيدين؟ ألم نختبر معاً الفرح في تقاسم الحب؟ تذكرى. يا حبيبتي. على الشاطئ». كنت تريدني كما كنت أريدك. اعترفي بذلك. يا لورا. كوني مخلصه

وصادقة مع نفسك...»

نظرت إليه ثم أغضت عينيها. هل بإمكانها أن تنسى ما حدث معها في ذلك اليوم. على الشاطئ. تحت شجرة جوز الهند؟ همس ديبغو في أذنيها وهو يعانقها:

«لم تستطيعي يوماً أن تخفي حقيقة أحاسيسك».

ومرة أخرى راحت تشعر بالذوبان لدى ملامساته البارعة. وراحت هي بدورها تلامس عنقه ثم حملها بين ذراعيه ووضعها على السرير. حاولت أن تقاوم لكن بدون جدوى. لكنها قامت بجهد كبير لتتخلص من قبضة ديبغو وعناقه. ووقفت وهي تنظر اليه في احتقار وقالت:

«كيف تجرؤ على ملامستي؟ ادخر ملامستك البارعة لفرانيسكا. لأنها بلا شك تقدرها...»

«لا أفهم. ما دخل فرانيسكا في الموضوع».

ضحكت لورا بسخرية وقالت:

«ربما نسيت يا ديبغو، لكنني ما زلت أذكر كل شيء. أذكر الليلة التي أمضيتها معها بعدما شاهدتكما متعانقين. كما أنك كنت وقحاً للغاية إذ أنك ما إن خرجت من سرير عشيقتك حتى لحقت بي مصراً على القيام بواجباتك الزوجية برغم أنك كنت تعرف تماماً أن والدي ميت على بعد مسافة قصيرة من هنا. أنت رجل كره وفضله».

صرخ ديبغو، شاحب اللون:

«لا. هذا غير صحيح! اعترف بأنني ربما كنت عنيفاً ذلك اليوم على الشاطئ... لكن... إنني أقسم لك بأنني لم أكن أعرف أن والدك مات».

«هذا مستحيل. لقد اتصل بي رئيس شرطة أكابولكو في اليوم الذي كنت على موعد مع وزير العدل. قال لي إن والدي... ذهب. اعتقدت أن... أن... اعتقدت أنهم نقلوه الى مكسيكو ليصار الى محاكمته بسرعة. لقد... أعطيت الشرطي رقم هاتفك في المنزل وفي المكتب حتى يتمكن من الاتصال بك».

اقترب ديفغو منها ووضع يديه اللاهتين على كتفيها:
«لم أتلق أية مكالمة. ربما لأنني كنت حينذاك في الطائرة. لقد أخبرني وزير العدل أنهم ألقوا القبض على الرجلين اللذين استأجرا اليخت من والدك. وهذان الرجلان أثبتا براءته، وجئت بسرعة لأخبرك بالأمر».
«تريد أن تقول أن السلطات كانت أطلقت سراح والدي؟»
«نعم. لم أعرف أنه مات إلا بعد الحادث الذي تعرضت له... لورا، هل بإمكانك الاعتقاد لحظة واحدة أنه بوسعي أن أجعلك امرأتي بالفعل لو كنت على علم بوفاة والدك؟»
«كنت أعتقد أنك كنت تريد أن تربح على الجهتين. فرانسيسكا في مكسيكو، وأنا هنا...»

قال مستغرباً وهو يحك رقبته:

«يا إلهي. لو عشت مئة ألف سنة فلن أتوصل الى معرفة كيف يعمل دماغ المرأة! لكنني في ذلك اليوم كنت أحبك كثيراً ولا يمكن لأحد أن يمنعني من التعبير عن حبي. ألم تشعرني بذلك؟ هل في امكاني التعبير عن حبي لو كان ثمة امرأة أخرى في حياتي؟ أنا لا انتظر بالحب. إنني أحبك حقاً، وأنا مجنون بحبك منذ اليوم الأول الذي التقيتك فيه. كيف تستطيعين التفكير أن هناك امرأة أخرى؟»

«ليس هذا صعباً! ألم أرك تعاقب فرانسيسكا؟»

«هل تغارين منها يا حبيبتي».

«نعم. اكتشفت تلك الليلة بالذات أنني أحبك. انتظرتك بحرارة وبلهفة. لكن بدلاً من أن تعود إلي، رأيتك تذهب معها...»
«أه، حبيبتي!»

وبسرعة اقترب منها وأخذها بين ذراعيه. وجذبها الى السرير:
«تعال. دعيني أشرح لك ما حدث».

وضع ديفغو ذراعه حول خصرها وقال:
«عندما كنت صغيراً، كانت فرانسيسكا تصغرنني بسنتين فقط. وكنا مخطوبين. وأهلنا يحبون هذه العلاقة. لكن القدر كان مختلفاً. تعرّفت فرانسيسكا الى انطوان وأحبته وتزوجته، بينما كنت أحلم بالمرأة التي ستصبح يوماً ما زوجتي ورفيقة حياتي».
أطلق زفرة عميقة ثم تابع يقول:

«مات انطوان وعادت فرانسيسكا الى مكسيكو حيث بدأت أعمال زوجها تنهار. فطلبت مني أن أساعدها. وهذا العناق الذي حصل بيننا هو عناق الاخوة. صحيح أنني رافقتها تلك الليلة الى منزلها. لكنني لم أبق مدة طويلة. أمضيت الليل كله أقاوم رغبتني في اللحاق بك...»
«أه...»

«لو جئت كما وعدتك به يا حبيبتي، لكنت أصبحت ليلتها زوجتي. لكنني كنت أخشى مجاهدة كرهك. كيف لي أن أعرف أن عواطفك نحوي تغيرت؟»

«في كل حال لم تكن تريد امرأة أحبّت أحداً قبلك، زوجة لك. ليلة

عرسنا تركتني بعدما اعتقدت أنني كنت عشيقه برانت».

هز ديفغو رأسه وقال:

«في الحقيقة، لست متشبهاً تماماً بهذا الموقف. يمكنني أن أقر بعض التصرفات ولكنك عندما لفظت في تلك اللحظة الحاسمة اسم برانت، تأكدت تماماً أنك ما أحببتني. ولهذا السبب وعدتك بأن أعيد لك حريتك عندما يخرج والدك من السجن، وثم...»

«ثم، ماذا...؟»

«بعد الحادث الذي وقع لك، قلت ورددت على مسمعي مراراً أنك تحببيني وأنت تريدني. لكنني لم أكن قاذراً على أن ألبي رغباتك، كما حصل بيننا على الشاطئ.. لقد أجبرتك على أن تستسلم لي...» وبطرف اصابعها، لمست لورا شفتي ديفغو وقالت:

«إذا كانت ذاكرتي سليمة، فإنني أذكر أنني تجاوزت معك، في ذلك اليوم، على الشاطئ.. هل صحيح أنك كنت تحببني منذ البداية..»
«لم أكف عن التفكير فيك منذ اليوم الأول. أنت أغلى شيء عندي في العالم. أنت امرأة أحلامي إلى الأبد. لا يمكنني أن أعيش من دونك..»
«حتى وإن لم أكن في مستوى والدتك؟»

«والدتي. ما دخل والدتي بالأمر؟»

«تعتقد كونسويلو أنك أسير حبك لوالدتك. وهي تعتقد بأنك تزوجتني فقط لأنني أشبهها.»

«هذا خطأ. إنها تتحدث على هواها لتجعلك تغارين. كانت تأمل دائماً بأنني سأتزوجها بعد وفاة أخي، زواجي منك أغضبها.»

«آه، ديفغو. لقد ارتحمت الآن. لم أكن أعرف...»

وضعت لورا رأسها على كتف زوجها وأضافت في خجل:

«هل تغفر لي لأنني شككت فيك؟»

«وأنا أيضاً يا حبيبتي، اعترف بأنني أتحمّل بعض المسؤولية.»

«ما علينا إلا أن نبدأ من جديد.»

«وأن نعوض الوقت الضائع وألاً ننتظر دقيقة واحدة...»

قالت جوانيتا:

«سينيور، سينيورا! العشاء جاهز!»

قال ديفغو قبل أن يعانق لورا:

«حافظي عليه ساخناً.»

ثم قال للورا:

«أنا جائع إليك... يا حبي.»